عيد الغطاس



مراجعة وتقديم
د / ميشيل بديع

الراهب
كاراس المحرقى

دراسات فى
الأعياد السيدية الكبرى
(٣)

عيد الغطاس

مراجعة وتقديم

الدكتور / ميشيل بديع عبد الملك
دكتوراه فى اللاهوت من ألمانيا
رئيس قسم الموسيقى والألحان القبطية
بمعهد الدراسات القبطية

الراهب
كاراس المحرقى



اسم الكتاب: **عيد الغطاس**

تأليف: **الراهب كاراس المحرقى**

مراجعة وتقديم: **د/ ميشيل بديع عبد الملك**

الجمع والإخراج الفنى: كاراس المحرقى

تصميم الغلاف: الأستاذ عادل لبيب

المطبعة: شركة الطباعة المصرية

ت: ٦١٠٠٥٨٩ - ٦١٠٢٠٩٥

رقم الإيداع: **٢١٠٤٧/ ٢٠٠٦**

يطلب من : المكتبات المسيحية

ومن الأستاذ / نصر أنور ت: ٠٢٤٦٨٣١٢٤



قداسة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث



نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس دير المحرق

تقديم

للدكتور/ ميشيل بديع عبد الملك

القارئ العزيز...

إن الكتاب الذى بين يديك ويحمل عنوان " **عيد الغطاس** "، يحتوى على مادة علمية متنوعة، حيث أن المؤلف وهو الراهب الفاضل كاراس المحرقى، عودنا دائماً فى كتاباته الوفيرة، أن **يعالج موضوعات إصداراته من جميع الجوانب.**

كما عودنا أن يقدم **شيئاً جديداً** فيما يخص موضوعات الأعياد المسيحية، والتى عادة ما ترتبط ببعض التقاليد والعادات الشعبية، وأيضاً بعض أنواع المأكولات التى ارتبطت بالأعياد، فهو يبحث فى هذه التقاليد ليتوصل إلى المعنى الروحى، الذى يصل بنا إلى مفهوم ارتباطه بالعيد.

بالإضافة إلى ذلك نجد أن الكاتب، **يهتم بالبحث التاريخى لأصل العيد**، وعادة ما يدعم كتاباته بأقوال آباء الكنيسة، كما أنه **يقدم أيضاً التعاليم اللاهوتية** التى توجد فى مفهوم العيد السيدى، ولا ينسى أن **يقدم لنا الجانب الطقسى وكيفية ممارسة العيد على المستوى الليتورجى**،

وما يحتويه من ألحان تحوى نغمات روحية متعددة، **وربما بعض هذه الألحان يتميز بها فقط دير المحرق العـــامر،** الذى ينتمى إليه الراهب القس/ كاراس المحرقى.

وكتاب "عيد الغطاس" **يحمل الجديد من مادته** ويتناسب مع احتفال الكنيسة بعيد الغطاس، فمن خلال قراءته يصبح كل ما نمارسه فى هذا العيد له مفهوم روحى، لاهــوتى، كنسى، طقسى.

الرب يبارك هذا العمل الذى **يُــضاف إلـــى رصـــيد المكتبات الكنسية،** ويجعل كلمات وتأملات هــذا الكتـــاب شبكة روحية لربح النفوس فى طريق الملكوت، بصلوات وطلبات أبونا البابا شنوده الثالث، وشريكه فـــى الخدمـــة الرسولية أبونا الأسقف المحبوب الأنبا ساويرس رئـــيس الدير المحرق العامر، ولربنا المجد الدائم آمين.

د/ ميشيل بديع عبد الملك

القاهرة

يوم الثلاثاء

٩ توت ١٧٢٣ ش

مقدمة

إن عيد الغطاس هو **كوكب ساطع** فى سماء الأعيـــاد المسيحية، له بهجة روحية تميزه عن باقى الأعياد، ولهذا أعطته الكنيسة مكانه خاصة، نظــراً لأهميتــه وقدمـــه، وصارت تحتفل به منذ القدم احتفالاً شعبياً عظيماً، فما أن يأتى عيد الغطاس حتى نتذكر القلقاس والقصب... إنهــا أكلات مادية ولكن فى كل مرة نأكلها نتذكر معانٍ روحية، **فالقلقاس يذكرنا بالمعمودية، وحلاوة القصب بالإســتنارة الروحية التى نلناها بالمعمودية.**

لقد كان الغطاس من **الأعياد القومية**، التى كانت مصر بأسرها تحتفل به احتفالاً رسمياً، شعبياً، بلـــغ مكانتـــه أن **حاكم مصر وعائلته ورجال حكومته.. كـانوا يـشتركون ويُشاركون الأقباط أفراحهم واحتفالتهم**، ويأمرون بإقامـــة الزينة، وإيقاد النيران وإضاءة المشاعل والشموع، وتوزيع المأكولات على الأهالى، مع الصدقات على الفقراء، وكان الناس يغطسون بعد منتصف الليل فى النيل تبركـــاً بهـــذه المناسبة العظيمة!!

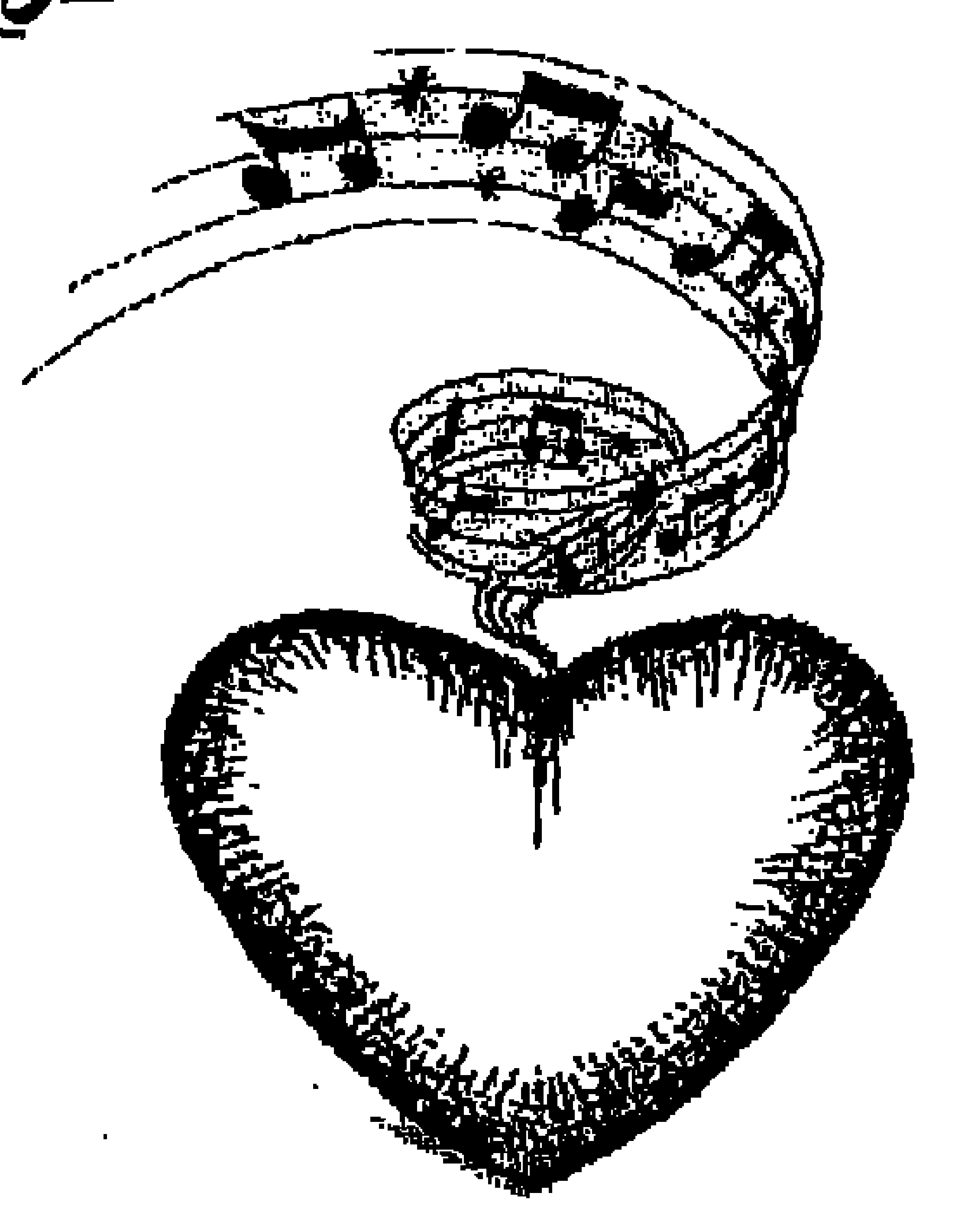
ويخبرنا التاريخ الكنسى- كما سنذكر فى الفصل الثالث- أن **عيد الغطاس** فى العصور المسيحية الأولى كان له مع

عيد القيامة، المكانة الأولى بين الأعياد، حيث لم يكن لعيد الميلاد ذكر واحتفال فى الشرق، قد نكون على صواب إن قلنا: **إن الإسكندرية هى أصل نشأة عيد الغطاس.**

أخيراً أُقدم محبتى وشكرى وتقديرى ... لأستاذنا الفاضل العالم الجليل الدكتور/ **ميشيل بديع عبد الملك**، على محبته وتشجيعه ومراجعته وتقديمه لهذه السلسله، التى نبحث فيها تواريخ الأعياد وطقوسها وروحانياتها.. الرب يعوضه فى ملكوته الأبدى، ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

الراهب

كاراس المحرقي



الفصل الأول
أهمية عيد الغطاس

من المسلم به أن عيد الغطاس، يُذكر مع عيدى القيامة والميلاد، في مقدمة الأعياد السيدية **السبعة** الكبرى، وهذا إنما يدل على مكانته الرفيعة فى كنيستنا القبطية.

ويُخبرنا **التاريخ** الكنسى أن كان لعيد الغطاس، المكانة الأولى مع عيد القيامة فى بداية المسيحية، حيث لم تكِن احتفالات عيد الميلاد الرسمية فى الشرق قد ظهرت بعد.

هذا وقد جاء فى **تعاليم الرسل**: " ليكن عندكم جليلاً **عيد الثيئوفانيا**، لأن فيه بدأ الرب يُظهر لاهوته فى معموديته، فى الأردن من يوحنا، وتعملونه فى اليوم السادس من الشهر العاشر الذى للعبرانيين، الذى هو الحادى عشر من الشهر الخامس للمصريين " الحادى عشر من شهر طوبة " *

ونظراً لمنزلة عيد الغطاس، فقد رأى الأقباط أن يُعمّدوا أولادهم فى هذا اليوم المقدس، وتسمية المولود الجديد فى

---

* الدسقولية - تعريب القمص مرقس داود الباب (٣١).

الغطاس باسم " **غطّاس** " ، مثلما سمّوا الطفل المولود فى عيدى النيروز والميلاد باسم " نيروز" أو" ميلاد ".

أما **احتفالات** العيد فلايمكن أن تتجسد بقلم كاتب! فالحبر لا يستطيع أن يصف المناظر الخلابة، والأحداث البديعة الجذابة فى هذا العيد! فهل يكفى لإظهار مكانته السامية أن نقول: إن الغطاس فى مصر كان **عيداً رسمياً** فى عهد الدولتين: **الأخشيدية والفاطمية**؟ وفى احتفالاته كان **الحاكم** يُشارك الأقباط احتفالاتهم..!

وإلى الآن لازالت بهجة الغطاس، واحتفالاته الشعبية قائمة، سواء فى مأكولاته المميزة، أو الاستحمام فى النيل وفروعه، أو رش المنازل بالماء.. فمن عادة المؤمنين قديماً: أن يأخذوا جزء من ماء اللقان، لكى يحتفظوا به فى بيوتهم للتبرك بعد أن تقدست المياه بالصلاة.

وعن هذه المياه التى تقدست يقول القديس يوحنا **ذهبى الفم**: إنها تبقى نقية لمدة عام وأكثر فلا يعتريها الفساد، لأنها قد تقدست*

كما كانت الكنائس قديماً، تحتفظ بكمية من مياه نهر الأردن، لكى تُضاف على اللقان أثناء صلاة القداس، وإلى

---

* القديس يوحنا ذهبى الفم - الدر المنتخب، ص ٨٩ ، ٢٠٤.

الآن لايزال البعض يحتفظون بماء اللقان فى بيوتهم طوال العام، للاغتسال بها عقب كل اعتراف، وذلك برشم الجبهة والحواس والقلب...*

ومن يقرأ سير **النساك والمتوحدين والسواح** القدامى، يرى أنهم اعتادوا قبل عيدى الغطاس والميلاد ببضعة أيام أن يبرحوا مغائرهم فى البرارى، ويتوجهوا إلى أقرب كنيسة ليتناولوا القربان المقدس.

ويروى لنا **تاريخ البطاركة**، أن فى أيام ولاية الحاكم بأمر الله المسمى الأمام منصور، حدث اضطهاد للأقباط وأُغلقت كنائسهم، وطُرح بطريركهم للسباع حتى تأكله.. فكان **أكثر النصارى يدخلون البرية مرتين كل سنة فى عيدى الغطاس القيامة**، لتناول القربان المقدس الذى كانوا يشتهونه كما يشتهى الطفل اللبن من ثدى أُمه*

ومن سيرة الأنبا بلامون وتلميذه الأنبا باخوميوس (ق٤) نعلم أن **عيدى القيامة والغطاس كانا اليومين الوحيدين** فى السنة، اللذين فيهما **يحل نساك الصعيد قانون الصيام**

---

* م/ وهيب عزيز خليل - المعمودية والغطاس، ص٦٧،٦٨.
* تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع، قام بنشره العالم الكنسى يسى عبد المسيح وأسولد برمستر، القاهرة ١٩٤٨م، ص١٣٣.

ويفطرون، بإضافة مقدار من الزيت إلى طعامهم إكراماً للعيد، أو بأكل التين المطبوخ بدلاً من الخبز والملح والخضر أو البقول النيئة.. وذلك لأنهم كانوا يصومون فى الصيف حتى المساء، وفى الشتاء يومين يومين ويفطرون على خبز وملح!

هذا وقد ذكر لنا كاتب سيرة أنبا باخوميوس إن **مسيحى إسنا**، كانوا فى عيد الظهور الإلهى يحتفلون احتفالاً زائداً، بولائم فاخرة، ومأكولات شهية، ومشروبات عطرة... فلما شاهد تادرس تلميذ أنبا باخوميوس هذه البهرجة قال فى نفسه: يانفسى إن أنت تمتعت بهذه الخيرات فلن تحظين بالنعم الدهرية..

ونظراً لبهجة العيد، والسرور العظيم الذى يملأ قلوب المسيحيين، من قِبل عماد المسيح، **منعت الكنيسة الصوم يومى الأربعاء والجمعة** إذا وقع عيد الغطاس فى إحداهما كما فعلت فيما بعد لعيد الميلاد المجيد، وقد رتبت الكنيسة الاستعداد لاستقبال العيد بالصوم يوم **البرمون**، وهو اليوم السابق مباشرة على العيد..

وفى الكنيسة البيزنطية يستعد المؤمنون بتقدمة تستمر أربعة أيام، وفى اليوم الرابع المُسمى **البرمون**، تطلب منهم أن يصوموا حتى الظهر وينقطعوا عن أكل الأطعمة

الحيوانية، وتضع على أفواههم نشيد البرمون، وفيه إشارة إلى عمل المعمودية وتقديس المياه، التـــى كانــت بفعــل الطوفان رمز الموت وصورته، وقد تحولــت بمعموديـــة المسيح إلى ينبوع ماء ينبع إلى حياة الأبدية (يو ٤ : ١٤).

وفى المخطوطة القبطية المدونة تحت رقم (٢٤) ورقة (٥٠) الموجودة بجامعة " **ليبزيخ** Leipzig " من أعمال ألمانيا، ذُكر **عيد الإبيفانيا والقيامة والعذراء مــريم**، مــن الأيام التى يجب فيها على المؤمن الامتناع عن الجمـــاع الزوجى..

وفى نفس المخطوطة ورقة (١٧) نجد رسالة رعويـــة، أرسلها أسقف قبطى فى (ق٧)، ذكر فيها عيد الغطاس من بين الأيام المقدسة، التى **يُفضل فيها التناول من الأســرار المقدسة**، بشرط أن يتناول المؤمنين وهم صائمون*

وجدير بالذكر أن نذكر أن القانون (١٦)، من القـــوانين المنسوبة إلى البابا **أثناسيوس الرسولى** يتحدث عن واجب الأسقف نحو الفقراء فيقول:

" فى عيد ظهور الرب.. يجمع الأرامل والأيتام ويفرح معهم بصلوات وتراتيل، ويُعطى كل واحد ما يحتاجه لأنه

---

* القمص يعقوب مويزر- خطرات عيد الغطاس، ص ٤ ،٥.

يوم بركة فيه اعتمد الرب من يوحنا.." ، وهنا لم يـذكر البابا أثناسيوس عيد الميلاد، لأن كنيسة الإسكندرية لم تكن تحتفل به فى ذلك الوقت، فمـن الثابـت لـدى علمـاء الليتورجيا، أن عيد الميلاد أخذ مكانته كعيد رسـمى فـى مصر حوالى سنة (٤٣٠م)*

وكان لعيد الغطاس أهمية طقسية كبيرة للكنيسة عامـة، ولمصر بنوع خاص لأن فى العيد كان قد أُلقى على عاتق بابا الإسكندرية، الإعلان عن ميعاد بدء الـصوم الكبيـر وموعد البصخة وعيد القيامة، علي أُسس فلكيـة دقيقـة، وكانت تأخذ به كافة كنائس العالم*

ويذكر التاريخ الكنسى: إن **ديونيسيوس** بابا الإسكندرية الرابع عشر(٢٤٨-٢٦٥م) قد قام بهذه المهمة، وله رسائل يستخدم فيها كلمات ثناء وتبجيل عن عيد الفصح، موضحاً أنه لا يليق ممارسة الفصح إلا بعد الاعتدال الربيعى*

وقد حافظ على هذا التقليد كافة البابـاوات مـن بعـده، وبالأخص القديس أثناسيوس الرسولى، الذى ارتفع بهـذه

---

* راجع كتابنا عيد الميلاد، الفصل الثانى (تاريخ العيد).
* الأب متى المسكين - أعياد الظهور الإلهى، ص٢٣٦.
* تاريخ الكنيسة - يوسابيوس القيصرى، ك ٧ ف٢٠.

المهمة الطقسية إلى المستوى الروحى، فكانت خطاباته الفصحية مليئة بالوعظ والتعليم والحكمة والحرارة الروحية أما أول رسالة فصحية له فى عيد الغطاس، فكانت سنة (٣٢٩م).

يقول يوحنا كاسيان:

" إنها عادة قديمة فى مصر أن يقوم أسقف الإسكندرية، بمجرد انقضاء عيد الإبيفانيا، بإرسال خطابات دورية، إلى عموم الكنائس فى مصر وأديرتها، يحدد فيها بدء الصوم وعيد القيامة ".



الفصل الثانى

أســـماء العـيـد

عيد الغطاس، عيد شهر طوبة، الإبيفانيـــا، الثيئوفانيـــا، الظهور الإلهى، ظهور المسيح على المياه، العماد، عمـــاد المسيح، الحميم، تكريس الماء، الأنوار، التنـــوير، عيـــد الملوك الثلاثة.. **أسماء كثيرة لعيد عظيم**، تغنى به الآباء وتأملوا عظم معانيه يأتى فى الحادى عشر من شهر طوبة ألا وهو: " **عيد الغطاس** " أما **أشهر أسمائه** المتداولة على ألسنتنا والمدونة فى كتبنا، **فهى الآتى:**

عيد الغطاس

وقد دُعى هكذا، لأن السيد المسيح، الذى شابهنا فى كل شئ ما خلا الخطية، وقد قال مرة: " يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ " (مت٣ :١٥) **اعتمد من يوحنا المعمدان بـــالتغطيس،** يقول الكتاب المقدس: " لَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعَدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَد انْفَتَحَتْ لَهُ ، فرَأَى رُوحَ للَّهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِياً عَلَيْهِ " (مت٣ :١٦) وكلمة صعد تفيد أنه نزل إلى الماء أولاً، ألم يقل معلمنا القديس بولس الرسول:

" مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضاً مَعَـهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْـوَاتِ " (كـو٢: ١٢) والدفن يتم بالتغطيس.

والحق إننا ننزل فى المعمودية لكى نرتفع، ولهذا يقول القديس **أغسطينوس**: " لتنزلوا حتى ترتفعوا، ولا ترتفعوا لئلا تهبطوا فإن كانت المعمودية نزول لأجل الصعود فإن طريقها غريب على المتكبرين ".

عيد العماد

فى اللغة اللاتينيـة، نجد أن عيد العماد " Baptism " ومعمودية " Baptisma " * تأتى بمعنى " **صبغة** " والتى تكتب بالإنجليزية " Dye " ، فمن المعروف أن من صفات الصبغة هو تغيير الألوان، وهكذا أيضاً المعمودية تغيـر طبيعتنا التى فسدت بالخطية إلى طبيعة أُخرى جديدة.

يقول بولس الرسول: " لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ المسيح " (غل٣:٢٧) ، فما معنى قوله: **لبسـتم المسيح** ؟ يُجيب القديس **كيرلس الأورشليمى** قائلاً: " لقـد اعتمدتم ولبستم المسيح فأصبحتم على صورة ابن الله ".

---

* راجع قداسـة البابا شـنوده الثالث - عيد الغطاس، ص ٦.

إنها ارتداء ثوب جديد من نور ونور، وقد زُينت أطرافه بالمحبة والقداسة.. على مثال المسيح، إذن **كل من يلبس المسيح يجب ألاّ يسمح لأى دنس أن ينجس ثوب الخلود،** كما قال القديس باسيليوس الكبير.

الإبيفانيا

وهى كلمة يونانية επιφανια معناها الظهور، وعند الآباء سُمي العيد ثيئوفانيا θεοφανια أى الظهور الإلهى، فبينما كان السيد المسيح (أُقنوم الابن) فى الماء، انشقت السموات وظهر (أُقنوم الروح القدس) فى صورة حمامة نازلاً ومستقراً عليه، و (أُقنوم الآب) يُنادى من السماء قائلاً : " هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ " (مت٣ :١٧).

وتأتى كلمة ثيئوفانيا فى مناسبات كثيرة بصيغة **الجمع**، لكى تشمل عدة ظهورات للسيد المسيح: ميلاده، إعلان ميلاده للرعاة، دعوة المجوس إليه، عماده فى نهر الأردن، إعلان لاهوته فى معجزة عرس قانا الجليل.

ويبدو أن كلمة إبيفانيا لها تاريخ قديم، يرجع إلى ما قبل المسيحية، فقد جاء فى **دائرة المعارف البريطانية** تحت كلمة إبيفانيا Epiphany ما يفيد بأن معناها هو: **ظهور**

قوة إلهية Manifestation، إذ كانوا فى العصر اليونانى يحتفلون بظهور قوة إلهية، سواء كانت هذه القـوة فـى شخص أو حادث أو شئ آخر.. وكانت هذه فكرة دينية*

عيد الأنوار

أو التنوير.. هكذا كان يُسمى عيد الغطاس عند الآبـاء القدامى، ولهذا يقول القديس غريغوريوس النزينزى: " هذا اليوم المقدس هو " **عيد الأنوار** " نعيّده بالاحتفال، لأن فيه اعتمد السيد المسيح النور الحقيقى" ، كما يدعوه القـديس غريغوريوس النيـسى " **يوم الأنوار**" الذى فيـه اعتمـد الرب يسوع، وإلى الآن لا تزال الكنيسة ترمز إلى الأنوار الكثيرة فى عيد الغطاس، بالشموع الكثيرة التى تستخدمها فى الاحتفال بطقس العيـد، وفى البيوت أيضاً، وقد طغت هذه العادة حتى أصبح العيـد يُسمى فى الكنائس الغربيـة **بعيد الشموع** Candimas day *

وجدير بالذكر أن نقول: إن العلامة ترتليان كتب علـى الهامش فى **الدياتسرون** (البشائر الأربعة)، الذى يرجع

---

* Ecyclopedia pritanica - 2002 - CD

* الأب متى المسكين - أعياد الظهور الإلهى، ص٢٣٧.

تاريخه لسنة (١٧٥م)، ذكرى النور العظيم الذى قد أشرق على مياه الأردن وقت عماد المسيح*

يقول أحد الآباء:

" ظهر نور الجوهر الإلهى، وأشـــرق الـــسيد المـــسيح شمس البر، وصعد من الأردن ونشر أشعته، وبـــسطوع نوره طرد الظلام من العالم، والخليقة فرحـــت بظهـــور النور المقدس ".

عيد الدّنْح

" إن عيد الميلاد مجيد، وعيد **الدنح** عجيب عظيم، وهو عيد عماد مخلصنا، حيث ظهر المُخفى وأصبح معروفاً "، هنا يتحدث **مار إفرام السريانى** عن الغطاس بكلمة **دنح.**

وهى التسمية الشائعة للعيد فى الكنيسة السريانية* وهى مشتقة من الكلمـــة الكلدانيـــة (ܕܢܚܐ)* ومعناهـــا: الظهور، أو الكشف، أو الإعلان، أو الإشراق.. وهى تعبر

---

* روعة الأعياد- بطرس المخلصى، بغداد ١٩٨٤م، ص٩٦.

* زمن الدنح - جامعة الروح القدس، سنة ١٩٨٧م (المقدمة) .
- مصباح الظلمة، إعداد الراهب صموئيل السريانى، ص٢٢٧.

* عيد الدنح للقس بطرس نصرى الكلدانى (مقال) لدى المؤلف.

عن المعنى اللاهوتى لعيد عماد الرب يسوع فى الأردن، وبدء ظهوره للعالم، ولهذا يقول القديس **إيرونيموس**: " فى الميلاد قد أتى ابن الله إلى العالم متخفياً، أما فى المعمودية فظهر للعالم علناً ".

وقد أعاد القديس **يوحنا ذهبى الفم** نفس الفكرة بوضوح إذ قال: " لم يعرف الشعب يسوع قبل المعمودية، وأما فى المعمودية فقد ظهر للجميع ".

ومن بين الآباء الذين قد استخدموا هذه الكلمة، **القديس غريغوريوس** الناطق بالإلهيات، إذ قال فى إحدى ميامره : " سر جليل إلهى عالٍ، وللبهاء العالى مفيد، لأن يوم الدنح المقدس الذى إليه انتهينا أن نعيده فى هذا اليوم تحقق".



الفصل الثالث

تاريخ الاحتفال بالعيد

إن كل من يرجع للتاريخ القديم، يرى أن **عيد القيامة كان يستقطب كل الأعياد**، وقد استمر يوم الأحد عيد الفصح الإسبوعى ثم ظهرت رغبة فى الاحتفال بواحد من آحاد السنة بطريقة مميزة كونه عيداً للقيامة *

أما الأعياد الأُخرى.. فلم تدخل التقويم الكنسى، فى بداية نشأة المسيحية، حتى عيد الميلاد لم يكن لـه أثـر كعيد منفصل عن عيد الغطاس إلا فى سنة (٤٣٠م) على وجه التقريب، والسبب:

إن الكنيسة كانت ترى: إن **الاحتفال بأعياد الميلاد عادة وثنية يجب** نبذها، وقد صرّح العلامة **أوريجانوس** فى أوائل (ق٣)، بأن الكنيسة لا تنظر بعين الرضى إلى مثل هذه العوائد، وأشار إلى أن الكتاب المقدس لم يذكر إلا عيد ميلاد فرعون وهيرودس، فأحدهما فى نظره وثنى

---

* السنة الطقسية - الكسليك (لبنان) ص ٦٨.

والثانى كافر * ، كما رأت الكنيسة أن عيد ميلاد القديس الحقيقى، هو **يوم مماته** ودخوله السماء ولهذا عندما بدأت تُكرّم الشهداء والقديسين فى (ق٣) صارت تحتفل بذكراهم فى يوم استشهادهم .

من هذا نفهم عدم اهتمام الكنيسة الناشئة بالبحث عن ميلاد المسيح والاحتفال به .

فى **القرن الثانى** ، ومن كتابات القديس **إكليمنضس السكندرى** عن عيد الغطاس فى Stromateis * نعرف أن أتباع **باسيليدس** أقاموا عيداً خاصاً للاحتفال بظهور الرب فى (١١طوبة = ٦يناير) وكرسوا عشية العيد للصلاة وقراءة الكتب الدينية..

أما باسيليدس Basilides هذا فهو رئيس أحد جماعات الغنوسيين أو " **العارفين بالله** " كما يُترجم اسمهم ، وهو المؤسس الأول للمدرسة الغنوسية فى مصر سنة (١٣٠م) أما أخطر معتقداتهم المنحرفة فهى تلك البدعة، التى نادوا

---

* إلياس كويتر المخلصى- إنجيلك نور لحياتى، ج٣، ص ١١٧١.

* القديس إكليمنضس السكندرى (١٥٠-٢١٥م)- الأبسطة ١:٢١.

- راجع الآباء اليونان ٨ : ٨٨٨.

بها بأن المسيح إنسان كسائر البشر، ثم أصبح ابن الله فى عماده، عندما حل عليه الروح القدس على هيئة حمامـــة، وتبناه الآب بقوله: " هذا هو ابنى الحبيب " (مـــت٣:١٧)

فماذا فعلت الكنيسة إزاء هذه المعتقدات ؟!

شجبت بدعة باسيليدس وأتباعه، **وأطلقت كلمة إبيفانيـــا على ظهور المسيح فى ميلاده،** وظلت تحتفل بعيد ظهور ابن الله ، ليس حسب مفهوم باسيليدس، إذ صححته فكانت تقيم ذكرى الميلاد فى (٥ يناير) مساءً وتحتفل بالعماد فى صباح اليوم التالى (٦يناير).

ولكن لماذا تم اختيار يوم ٦يناير كميعاد ثابت للاحتفال بالعيد ؟! يرجع ذلك إلى اعتقاد قديم كان سائداً لدى سكان الإسكندرية، يوحى بأن **مياه النيل تنال فى هذا اليوم، قوة عجائبية** خاصة تمنح الشفاء لكل من يستخدمها بسبب إلقاء جسد الإله أوزوريس فيها *

هذا وقد ذكرت بعض المراجع العلمية: إن بعض أماكن في الشرق– فى هذه الفترة – كانوا يحتفلون بظهور ينابيع تخرج نبيذ " wine " فيه قوة شافية *

---

* Ecyclopedia pritanica - 2002- CD

* Ecyclopedia pritanica - 2002- CD

كما كانت الإسكندرية تحتفل فى نفس اليوم بعيد ميلاد إله المدينة " إيون Αιων" ، وهو حسب اعتقادهم ابن العذراء " كورى Kore " وهى على وجه الترجيح الإلهة إيزيس.

ولكن الكنيسة أرادت أن تقضى على هذه المعتقدات الفاسدة، وعلى بدعة باسيليدس فى نفس الوقت، فاحتفلت فى يوم (٦يناير) بعيد ظهور رب المجد يسوع وخصصت ليلة (٥/٦يناير) للاحتفال بذكرى الميلاد وزيارة المجوس، لكى تؤكد أن يسوع متحد باللاهوت، منذ اللحظة الأولى من الحبل البتولى به ، فى أحشاء العذراء القديسة الطاهرة مريم وليس فى العماد *

فى **القرن الرابع**، وبعد انتهاء اضطهاد الدولة الرومانية اهتم آباء الكنيسة بالدراسات اللاهوتية والتاريخية، فوجدوا أنفسهم فى حيرة عندما حاولوا تحديد تاريخ ميلاد السيد المسيح، لأنهم لم يهتموا بهذه المسألة من قبل، ويبدو أن البحث عن ميلاد المسيح قد بدأ قبل ذلك، لأننا فى مطلع (ق٣) نرى القديس **إكليمنضس** يهزأ بالذين يتعبون دون

---

* بحث للأستاذ أنطون نجيب، عن ميلاد المسيح وبناء الوحدة، نُشر بمجلة صديق الكاهن، سنة ١٩٧٤م، ص ١٥٢.

جدوى فى البحث عن تاريخ ميلاد المسيح محاولين تحديده بالسنة واليوم.. ويعتبر أن هذه الحسابات مجرد افتراضات وتكهنات*

وهكذا بقيت كنائس الشرق، تحتفل بذكرى ميلاد المسيح وعماده معاً فى يوم (٦ يناير) حتى مطلع القرن الرابع.

ويبدو أن **مصر وسوريا** جعلتا ذكرى ميلاد المسيح هى الموضوع الرئيسى فى هذا العيد، ولذلك لم يتردد القديس **إبيفانيوس** فى نقل عيد عماد المسيح إلى يوم (٦ نوفمبر)*

أما **أورشليم** فقد احتفظت بذكرى عماد السيد المسيح، كموضوع أساسي للعيد ولكنها أضافت إليها ذكرى الميلاد المجيد.

فى منتصف **القرن الرابع**، كانت روما تحتفل بعيد الميلاد فى(٢٥ ديسمبر) كما يظهر فى **التقويم الفيلوكالى***

---

* إكليمنضس السكندرى (١٥٠- ٢١٥م)- الأبسطة ١ :١ :٢١.
- راجع الآباء اليونان ٨: ٨٨٧.

* إبيفانيوس أسقف قبرص (٣١٠-٤٠٣)- الهرطقات ٥١.
- راجع الآباء اليونان ٤١: ٩٣٥.

* نسبة إلى ديونيسيوس فيلوكالوس (٣٥٤م)، وقد نشر هذا التقويم العلامة مومسين، ويضم التقويم قائمة بأعياد الشهداء تبدأ بتاريخ ٢٥ ديسمبر (عيد ميلاد السيد المسيح).

وقد أشار القديس **أُمبروسيوس** أسقف ميلانو (ق٤) إلى ذلك بقوله: " إن المسيح هو شمسنا الجديدة ".

وحث القديس **أُغسطينوس** مسيحى إفريقيا الشمالية فى (ق٥)، على السجود فى يوم (٢٥ ديسمبر)، لا للشمس بل لخالق الشمس.

لكن كنيسة روما لم تكتفِ بأن تعيّد لميلاد المسيح فى (٢٥ ديسمبر) بل سعت إلى نشره فى الشرق أيضاً، فلقيت الفكرة فى بادئ الأمر بعض الاعتراضات والمقاومــات، لأن الآباء الشرقيين لم يهتموا قبل ذلك بهذه المسألة، ولكن مساعى كنيسة روما كللت أخيراً بالنجاح.

وكانت أول كنيسة تبنت هذا التقويم الجديد، هى **كنيسة أنطاكية** سنة (٣٧٥م) ، وذلك فى عهد القديس يوحنا ذهبى الفم- بطريرك القسطنتينية- الذى روى فى عظة ألقاهــا سنة (٣٨٦م)، إن كنيسة انطاكية بــدأت ممارســة عيــد الميلاد منفرداً عن عيد الغطاس منذ (١٠ ســنوات) فقــط اعتماداً على مراسلات أجراها مع كنيسة رومــا، التــى سبقت أنطاكية فى تحديد زمن العيد بوقت كبير.

يقول ذهبى الفم

" والحقيقة إنه لم يمضِ حتى الآن سوى عشر سنوات، منذ أن تعرّفنا على هذا اليوم- يــوم الميلاد ٢٥ ديسمبر-

وبالرغم من ذلك ها هو قد ازدهر هذا اليوم وانتشر بسبب غيرتكم، وكأنه قد تُسلّم لنا منذ البدء، وهكـذا لا يُخطـئ الإنسان لو قال إن هذا العيد جديد وقديم معاً، جديد لأننا قد عرفناه حديثاً، وقديم لأنه هكذا اكتسب مساواة مع الأعياد القديمة.. وهذا اليوم كان معروفاً منذ البدء عنـد رجـال الغرب، غير أنه وصلنا أخيراً منذ مدة وجيزة..*

ثم حذت **القسطنطينية** حذو أنطاكية، ففى عام (٣٨٠م) كانت القسطنطينية تحتفل بعيـد الميلاد فى (٢٥ ديسمبر)، ونستدل على ذلك من عظة، ألقاها القديس **غريغوريـوس النزينزى** بطريرك القسطنطينية، عن عيد الميلاد فى يوم (٢٥ديسمبر) وعظة أُخرى عن الموضوع ذاته فى نفـس اليوم من العام التالى*

وفى عام (٣٨٠ م) كانت كنائس **قيصرية كبادوكية فى آسيا الصغرى**، تحتفل هى أيضاً بعيد الميلاد المجيد فـى يوم (٢٥ ديسمبر)، ونجد الدليل على ذلك فى العظة التى

---

* يوحنا ذهبى الفم (٣٤٧- ٤٠٧م)- موعظة على الميلاد.
- راجع الآباء اليونان ٤٩: ٣١٥.
- أنبا غريغوريوس - جريدة وطنى، الأحد ٨ يناير١٩٩٥م.

* غريغوريوس النزينزى (٣٣٠- ٣٩٠م).
- راجع الآباء اليونان ٣٠٦: ٣٤٩: ١٤.

أُلقيت فى نفس السنة، للقديس **غريغوريوس النيسى** أسقف نيسُس بتركيا (٣٤٠- ٤٠٠م)، وذلك لتأبين القديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية، فنراه يميز بوضوح بين عيد الميلاد وعيد الظهور الإلهى*

ومنذ عام (٤٣٢م) كانت **الإسكندرية** تحتفل بعيد الميلاد فى (٢٥ ديسمبر)، وقد كان هذا التقليد مجهولاً قبل ذلك الوقت لأن يوحنا كاسيان (٣٦٠- ٤٥٠م) يؤكد أن الكنيسة فى مصر كلها، كانت لا تزال فى أيامه تعيّد الميلاد والغطاس معاً فى عيد الإبيفانيا حيث تأتى كلمة الإبيفانيا بصيغة الجمع، أى تشمل عدة ظهورات:

- الميلاد بالجسد .
- ظهور النجم للمجوس .
- استعلان بنوة المسيح لله فى العماد بصوت السماء.
- استعلان لاهوته بمعجزة قانا الجليل.

يذكر كاسيان هذا الخبر فى كتابه " **أحاديث الآباء**" الذى يرجع إلى الفترة ما بين (٤١١ - ٤٢٧م) **يقول فيه:**

" وفى إقليم مصر، هذه العادة قديمة بالتقليد، حيث يُراعى أنه بعد عبور الإبيفانيا، التى يعتبرها الكهنة فى

---

* الآباء اليونان ٤٦: ٥٨٠: ٧٨٩، ٧٠١، ٧٢٥.

هذا الإقليم، الزمن الخاص بمعمودية الرب وأيضا ميلاده بالجسد، وهكذا يعيدون التذكارين معــاً، ولا يعيــدونهما منفصلين كما هو فى اقليم الغرب، ولكن فى عيد واحد فى هذا اليوم " *

ولكننا نرى **بولس أسقف إيميس*** سنة (٤٣٢م) يُلقــى عظة رائعة عن ميلاد السيد المسيح فى يوم (٢٥ ديسمبر) بكنيسة الإسكندرية، فى حضور البابا كيرلس عامود الدين (٤٠٠– ٤٣٢م)، ومنها نستنتج أن هذا التقليد قد دخل إلى كنيسة الإسكندرية قبل ذلك بقليل، أى حوالى سنة (٤٣٠م) قبل أن يغادر كاسيان مصر*

هذا وقد جاء فى المجلد الخامس من قاموس " **دنتش** " القديم: إن عيد الميلاد قد أُدخل لأول مــرة فــى كنيــسة الإسكندرية عام (٤٣٠م) كما جاء فى القاموس الفرنــسى " **لاروس** " القرن العشرين ج ٥ ص٩٧: إن الاحتفال بهذا

---

* Cassian, X, 2 nd Confer of AB. Isoak .
- راجع الأب متى المسكين - أعياد الظهور الإلهى ص١٩٧.

* جاء فى قاموس المنجد فى اللغة العربية والإعلام تحت كلمة **حِمص**: إنها مدينة سورية قديمة جداً، دعاها الرومان(إيميزا).

* بحث للأستاذ أنطون نجيب بعنوان "ميلاد المسيح وبناء الوحدة" نُشر بمجلة صديق الكاهن سنة ١٩٧٤م، ص ١٥٨، ١٥٩.

العيد رسمياً فى كنيسة الإسكندرية، كان فى عام (٤٣٠م) على وجه التقريب.

وفى دائرة **المعارف** الدينية والأخلاقية المجلد الثالث ص٤٠٦ جاء ما يلى:

ولا يمكن أن يُحدد بالضبط التاريخ الذى جُعل فيه يوم (٢٥ ديسمبر) عيداً رسمياً للمسيح فى الكرسى الإسكندرى ولكنه يقع يقيناً فى الفترة (٤٠٠–٤٣٢م)*

أما **أورشليم** فقد ظلت متمسكة بالتقليد القديم، أى تقيم العيدين معاً فى يوم (٦ يناير)، ولكن المقاومة زالت أخيراً فى منتصف (ق٥) والدليل الأكيد على ذلك:

هو الموعظة التى ألقاها **باسيليوس** أسقف سلوقية فى يوم عيد القديس إسطفانوس، ونراه فيها يمدح يوفينال أسقف أورشليم، لأنه أول من احتفل بعيد ميلاد المسيح فى يوم (٢٥ ديسمبر) فى كنيسة أورشليم، وكان يوفينال بطريركاً على أورشليم من (٤٢٤– ٤٥٨م)*

---

* بحث للأستاذ / كامل صالح نخلة فى أسباب اختلاف مواعيد الأعياد، نُشر بكتاب الأعياد السيدية للقمص/ بطرس جرجس، ص٧٣- ص٩٣

* الآباء اليونان - ٨٥ : ٤٦١- ٤٧٤.

حدث فى الجيل الرابع أن قامت القديسة **إيثيريّة** الراهبة – من جاليسيا – بزيارة إلى الأماكن المقدسة فى القدس، وقد ذكرت فى تاريخ زيارتها إنها **حضرت عيد الغطـاس فى القدس**، حيث أُقيمت هناك احتفالات مبهجة إجلالاً لهذا العيد العظيم، وروت عما كان يُقام من الطقوس الجميلـة، إذ قالت:

" إن أسقف القدس مع الشعب يطوفون هناك ، حاملين بأيديهم الصلبان والشموع، متنقلين فى زيارة الكنائس مدة ٨ أيام " *

بعد ذلك انتقل الاحتفال بعيد الميلاد فى (يوم٥ ديسمبر) إلى سائر كنائس الشـرق، وقد قبلت كنائس بلاد ما بـين النهرين هذا التقليد فى (ق١٤) فقط .

واليوم لا يبقى سوى الكنيسة الأرمينية، فتحتفل فى يوم (٦ يناير) بعيد ظهور الرب مقترناً بذكرى الميلاد، أى بعيدى الغطاس والميلاد معاً.

نستطيع أن نقول: إن كنيسة روما هى أصل نشأة عيد الميلاد، كما أن كنيسة الإسـكندرية أصـل نـشأة عيـد الغطاس، ولكن عيد الغطاس متقدم فى الزمن عـن عيـد

---

* Erigrinatio etheriae ed camurrini 1887

الميلاد، إلا أنه كان مجهولاً فى الغرب، حتى بداية القرن الرابع*

ونجد الدليل على ذلك عند القديس **أغسطينوس**، الـــذى يلوم أصحاب بدعة الدوناتيست Donatists* وذلك لعدم احتفالهم بهذا العيد فى كنائس إفريقيا الشمالية، التى تتبـــع الطقس الرومانى، ومن هنا نستنتج أن عيد الظهور الإلهى قد دخل إلى كنائس الغرب، بعد انفصال أصحاب بدعـــة الدوناتيست عن الكنيسة الجامعة عام (٣١٣م)*

ولكن من الأكيد أن هذا العيد كان موجوداً فى كنـــائس الغرب عام (٣٦١م)، وذلك لأن **مارشيلينوس** يـــذكر أن الإمبراطور يوليانوس الجاحد (٣٦١-٣٦٣م)، قد حـــضر الاحتفال بعيد الإبيفانيا عام (٣٦١ م)، فى كنيـــسة فيينـــا (من أعمال فرنسا) وهذا يدل على أن عيد الظهور الإلهى كان من الأعياد الحافلة، التى يجتمع فيها المسيحيون بأبهة

---

* Oxford dictionary .p.465.

* جماعـة انـشقت عـن كنيـسة إفريقيـا سـنة ٣١١م بقيـادة شـخص اسـمه دونـاس، أمـا أفكـارهم الخاطئـة فكثيـرة منهـا: إن الأسـرار لا تتقدس بواسـطة الكهنـة الخطـاة، وجماعـة الكنيسة ينبغـى أن تكـون من الكاملين فقط ولذلك يجب طرد الخطاة من الكنيسة وحرمهم..

* القديس أُغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) - الموعظة ٢٠٢.

عظيمة، حتى إن يوليانوس مع كفره إضطر للحضور لئلا يرميه الشعب بالزندقة.

وفى عام (٣٨٠م) يذكر مجمع **سراجوسا** هذا العيد ضمن الأعياد الكبرى التى ينص عليها القانون الرابع من قوانين المجمع.

وفى عام (٤٠٠م)، أصدر الإمبراطورين **أركاديوس** (٣٩٥-٤٠٨م) **وهونوريوس** (٣٩٥-٤٢٣م) مرسوماً بمنع الألعاب فى يوم عيد ظهور الرب.

وأخيراً قرر الإمبراطور **يوستينيانوس** (٥٢٧-٥٦٥م) أن يجعل هذا اليوم عطلة رسمية*

وهكذا دخل عيد ظهور الرب كنائس الغرب، فى النصف الثانى من **القرن الرابع**، وأصبح عيداً رسمياً فى كل الكنائس منذ بداية **القرن الخامس**..

وعلى إثر هذا **التبادل** فى الأعياد، أصبحت الكنائس فى الشرق والغرب، تحتفل معاً بعيد ميلاد السيد المسيح فى يوم (**٢٥ ديسمبر**) وبعيد الظهور الإلهى فى يوم (**٦يناير**) منذ القرن الخامس الميلادى..

---

* مجلة صديق الكاهن سنة ١٩٧٤م، ص ١٥٨، ١٥٩.

إلى أن قام البابا **غريغوريوس** بابا روما الثالث عشر (١٥٧٢– ١٥٨٥م) سنة (١٥٨٢م) بتعديل التقويم.. فقد لاحظ وقوع الاعتدال الربيعى فى يوم (١١ مارس) بدلاً من يوم (٢١ مارس) كما قرر مجمع*نيقية..

إذن هناك فرق قدره ١٠ أيام !!
فماذا فعل البابا لتلافى الخطأ ؟؟

لجأ أولاً إلى علماء اللاهوت، لكى يعرف منهم السبب، فأجابوه بأنه: ليس لديهم سبب سواء من الناحية الكنسية أو اللاهوتية، فالأمر مرجعه إلى الفلك.

فرجع البابا إلى علماء الفلك، فأعلموه بأن السبب يرجع لحساب السنة، فالسنة بحسب التقويم اليوليانى يبلغ طولها: (٣٦٥ يوم + ٦ ساعات) ، بينما السنة فى حقيقتها التى يقرها علماء الفلك (٣٦٥يوم + ٥ ساعات + ٤٨ دقيقة + ٤٦ ثانية).

فأجرى تصحيحاً للتقويم، عُرف باسم التصحيح أو التعديل الغريغورى (نسبة لاسم البابا غريغوريوس)، يمكن أن نختصره فى نقطتين أساسيتين:

– فمن جهة الـ (١٠ أيام) الفرق ، تم حذفها بعد أن أصدر أمراً بأن ينام الناس يوم ٤ أكتوبر سنة (١٥٨٢م)

وعندما يستيقظوا يعتبرون يومهم هو (١٥ أكتوبر) بــدلاً من (٥ أكتوبر).

- ولضمان فروق المستقبل وضع قاعدة عن طريقها يتم حذف (٣ أيام) كل (٤٠٠ سنة).

بعد أن إتبعت كنيسة روما والكنائس الغربيــة التقــويم الغريغورى سنة (١٥٨٢ م) اختلفت مواعيد الأعياد بــين الكنائس..



الفصل الرابع

مظاهر الاحتفال بعيد الغطاس

إن عيد الغطاس من الأعياد الغنية باحتفالاتــه، ففــى داخل الكنيسة نرى طقوس العيد بكل ما تحمل من معــانٍ روحية، تغور إلى أعماق النفس البشرية، وتطبع فيها آثاراً لا تُمحى، وفى داخل البيوت وخارجها نــرى احتفــالات أُخرى شعبية، له بهجة خاصة تميزه عن باقى الأعياد.

فما أن يأتى الغطاس حتى تمتلئ البيــوت **بالقلقــاس والقصب**.. لاننكر أنها أكلات مادية إلا أنها تذكرنا بحقائق لاهوتية عميقة ومعانٍ روحية سامية، تخص المعموديــة والميرون المقدس..! ولهذا رأينا أن نتحــدث أولاً عــن الرموز فى حياتنا وطقوسنا.. قبل أن نتعمق فى معــانى هذه الأكلات وما ترمز إليه.

الرموز فى المسيحية

إن الرمزية هى **اللغة الطبيعية** للخليقة، فليس أحد علّم الحيوان المقتنص أن يصرخ، ولا الرضيع المــريض أن يبكى، ولا الرجل المتألم أن **يتنهد**.. ومــن الملاحــظ أن

الناس عامة يبتسمون فى حالة السرور، لكنهم **يُكشرون** فى حالة الحزن، وفى حالة الموافقة على شئ نجد **خفض الرأس** علامة شبه متفق عليها، أما **تحريك الرأس** من جانب إلى آخر فيشير إلى الرفض، كما أن **هز الكتفين** منظر مألوف، لإظهار أن الشخص لا يرى أو لا يفهم ما نتحدث عنه، **وإظهار الأسنان** يشير إلى العداء، **واليدان المفتوحتان** ترمزان إلى النزاهة.

والحق إننى مهما زعمت لنفسى أننى لا أفهم الآخرين، فلا أستطيع أن أُنكر أننى أدرك بطريقة مباشرة فى **دموع الآخر** حزنه، وفى **إحمرار وجنتيه** خجله، وفى **كفيه المضمومتين** صلاته، وفى **نظراته الرقيقة** حبه..*

ولأن الرموز تحمل من فيض المعانى الروحية، ما تعجز الكلمات أن تعبر عنها، جاء الكتاب المقدس يحوى لنا بين صفحاته الذهبية الكثير من الرموز الروحية، فهناك رمزية **الألوان**، فالأبيض يشير إلى الطهارة، والأحمر إلى الفداء، والأزرق إلى السماء...

وقد تعدت الرمزية اللغة والألوان لتشمل **الأرقام**، فنجد رقم ٣ يرمز للثالوث القدوس، و٧ للكمال، كما أن **أحداثاً**

---

* آلن بيز- لغة الجسد، تعريب سمير شيخانى، ص ٧-٢٠.

مثل سلم يعقوب وعبور البحر الأحمـــر.. كانـــت رمـــزاً للصليب والمعمودية..

ألم يصف الكتاب المقدس شعر الله باللون الأبـــيض! فهل لله شعر؟ ثم كيف يشيخ الله وهو روح ؟! إنها رموز تعبّر عن حكمة الله لا شيخوخته، وبنفس الأُسلوب يمكـــن أن نفسر العبارات الكثيرة الواردة عن الله مثـــل: يـــداه، عيناه، أُذناه..

وتتجلي الرمزية بكل وضوح فى **سفر النـــشيد**، كقول الكتاب: " **أُختى العروس** " ! لأنه أخذ طبيعتنـــا البـــشرية فصار أخاً لنا، وقد دخل معنا فى زيجة روحية لا تنفصم إلا بالموت.

وقد تجلت الرمزية أيضاً فى **المبنى الكنسى**، فالشكل الصليبى يُعلن عن طبيعة الكنيسة السرية، كجسد المـــسيح المصلوب، والشكل الدائرى يرمز إلى طبيعة الأبدية التى حملتها عن الله، وإذا اتخذت الكنيسة شكل السفينة، ففـــى هذا إشارة إلى فلك نوح رمز الخلاص.

هذا وقد امتدت الرمزية إلى الحياة المسيحية لتـــشمل **مأكولاتهم**، فما أن يأتى عيد النيروز، حتى نتـــذكّر الـــبلح والجوافة، وما يشيران إليه من معانٍ روحية.. **فالبلح** فى لونه الأحمر يذكّرنا بدم الشهداء، الذى سُـــفك حبـــاً فـــى

فاديهم، وحلاوته تذكّرنا بحلاوة الإيمان، وصلابة نواته تذكّرنا بصلابة الشهداء وتمسكهم بإيمانهم إلى الموت.. أما **الجوافة** إذا قطّعت بطريقة دائرية، ظهر صليب من البذار على كل قطعة نقطعها، والصليب يرمز للألم الذى احتمله الشهداء.

وحينما يقترب **شم النسيم**، نشعر بدافع قوى بحكم العادة الموروثة، يدفعنا إلى التفكير فى البيض والسمك أو الفسيخ والبصل، التى تذكّرنا بجوانب متعددة من السيد المسيح*.

أما فى **عيد الغطاس المجيد**، فالأسر تجمتع حول أكلة شعبية وهى " **القلقاس** " وخارج البيوت يمصون **القصب**، وفى ذهابهم للكنيسة يضعون الشموع على عيدان القصب، **فما هى قصة هذه المأكولات ؟ وما هى علاقتها بعيد الغطاس ؟**

القلقاس والمعمودية

لا ننكر أن آبائنا روحنوا أجسادهم، فإذا تمسكوا بطعام معين، فلابد أنه يخدم المناسبة التى يؤكل فيها، وهل ننكر

---

* راجع كتابنا أكل البيض والبصل والفسيخ فى شم النسيم.

أن القلقاس **يذكّرنا بالمعمودية** من عدة جوانب مختلفة، **تُرى ما هى هذه الجوانب ؟!**

- يحتوى القلقاس على مادة **هُلامية سامة** تؤذى حنجرة الإنسان، هذه المادة المُخاطية يمكن التخلص منها بالماء، وهكذا الإنسان أيضاً يتخلص من سموم خطية آدم الجدية عن طريق مياه المعمودية، التى فيها يخلع الإنسان العتيق ليلبس الجديد.

- القلقاس **يُدفن** ليصير نباتاً، ويصعد فيصبح طعاماً، **والمعمودية هى دفن مع المسيح وصعود معه** ولهذا يقول معلمنا القديس بولس الرسول: " مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ " (كو٢: ١٢)، وقد قيل عن رب المجد يسوع بعد عماده: " فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ **صَعِدَ** لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ وَإِذَا السَّمَوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِياً عَلَيْهِ " (مت٣ : ١٦).

- القلقاس **يُغمر** فى الأرض، ولكن أفرعه الخضراء تُعلن عنه، والمسيح عندما اعتمد من يوحنا المعمدان فى نهر الأردن، حل عليه الروح القدس فى صورة حمامة، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: " هَذَا هُوَ إِبْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ " (مت٣ : ١٧) ليُعلن للجميع لاهوته.

- لكى يؤكل القلقاس يجب أولاً **تعريته** من قشرته الخارجية، وفى المعمودية نخلع ثيابنا، وفى هذا إشارة إلى خلع الإنسان العتيق، والطبيعة القديمة الفاسدة، وأعمال الظلمة غير المثمرة، وكل ما ورثناه من آدم الأول.. وذلك لكى يلبس ما أنعم به له آدم الثانى، أعنى المسيح ابن الله.. (كو٢ :١١) (أف٤ :٢٢) (رو١٣ :١٢)*

القصب

كما ذكرنا.. يرجع أكل القصب فى عيد الغطاس، إلى عصر **الدولة الفاطمية**، فقد كان يوزع من قِبل الدولة، مع غيره من مأكولات على المسيحيين، فقد قال **بن إياس** فى تاريخه: وكان يُنفق فى تلك الليلة من الأموال ما لايُحصى فى مآكل ومشارب.. وكانوا يُهادون رؤساء الأقباط فى تلك الليلة: أطناب القصب والبورى والحلوى القاهرية والكمثرى والتفاح..

والحق إن القصب إن كان يوزع على الأقباط كمجرد شيئ يؤكل، إلا أنه **يذكّرنا بالمعمودية**، فحلاوة القصب

---

* القمص سيداروس عبد المسيح- القلقاس فى عيد الغطاس، مقال نُشر بمجلة مدارس الأحد، يناير ١٩٩٩م، ص٣١- ٣٨.

تشير إلى **حلاوة النعمة الإلهية** التى يحصل عليها الإنسان عندما ينال سر المعمودية.

ولعل هذا هو السبب الذى جعل الأطفال، يضعون الشموع على قمة أعواد القصب، ويرفعونها عالياً وهم فى طريقهم إلى الكنيسة، كنوع من الإشهار والتفاخر العلنى، مثلما يحملون سعف النخيل فى أحد السعف.

كما اعتاد الأطفال وضع الشموع داخل قشر **البرتقال** المجوف، كإشارة إلى استنارة المعمد بنور الروح القدس، بعد دهنه بزيت **الميرون** المقدس*، فإننا نعلم أن الضغط على قشرة البرتقالة يُخرج منها مادة زيتية، وهكذا ربطوا بين هذه المادة وزيت الميرون، الذى يُدهن به الشخص بعد المعمودية.

ومن يتأمل طقس المعمودية قديماً، يرى أن الداخلين إلى الإيمان، كانوا يرتدون الثياب البيضاء كرمز للطهارة والنقاوة، التى وهبها الله للذين يعتمدون على اسمه، ويحملون الشموع بأيديهم إشارة إلى **نور الإيمان** الذى يضئ العقل، ونور المعرفة الإلهية التى تبدد ظلام الجهل.

---

* د/ ميخائيل مكسى إسكندر- عيد الغطاس بين النص والطقس والتراث، مقال نُشر بجريدة وطنى، ٢٢ يناير ١٩٩٥م، ص٩.

ولهذا يُخاطب القديس **كيرلس الأورشليمى** الداخلين إلى الإيمان قائلاً: " ها رائحة المسيح تغمركم، يا أيها الـــذين ستقبلون النـــور، وإنكـــم لتقطفـــون الأزهـــار الروحيـــة لتضفروها أكاليل سماوية، شذا الروح القدس يهزكم وأنتم على أعتاب الديار الملكية، لقد إزدهرت الأشجار فياليـــت الثمر يكون مكتملاً ، إن أسماءكم سُجلت بعد أن تطوعتم فى جيش المسيح حاملين مصابيح موكب العرس، يلهـــبكم الشوق إلى المدينة العلوية.."

ثم بعد العماد يقضون أسبوعاً بالكنيـــسة، وقـــد ذكـــر العلامة **ترتليان**: إنهم كانوا يأكلون لبناً وعسلاً، وفى هذا الطعام معنى رمزى، يشير إلى أنهم بالعماد قـــد دخولـــوا أرض كنعان الجديدة، أعنى (الكنيسة)..

ألم يذكر لنا الكتاب المقدس عن أرض كنعـــان إنهـــا " **تفيض لبناً وعسلاً** " (خر٣:٨) ! أما **اللبن** فيشير إلـــى التعليم النقى، الـــذى تقدمـــه الكنيـــسة لأولادهـــا غـــذاءً لأرواحهم..

والعسل يشير إلى وصايا المسيح التى هى فـــى أفـــواه المؤمنين أحلى من العسل هكذا يقول داود النبى " مَا أَحْلَى قَوْلَكَ لِحَنَكِي! أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لِفَمِـــي" (مـــز١١٩: ١٠٣) **ويشير العسل أيضاً إلى حلاوة الإيمان.**

يقول العلامة أوريجينوس:

" عندما نخرج من عتمة الضلال إلى نـــور المعرفـــة، عندما نتحول عن حياة أرضية إلى أُخرى روحية، عندما نخرج من مصر ونأتي إلى الصحراء، نحيا وسط السكينة والهدوء، ونمارس الشرائع الإلهية ونتشبع مـــن التعـــاليم السمائية، ثم بعد أن نكون قد تتلمذنا لهذه التعاليم وعبرنـــا الأردن، نُسرع إلى كنعان أرض الميعاد " *



---

* العلامة أوريجينوس - عظة على سفر العدد ٢٦ ،٤.

الفصل الخامس

عيد الغطاس فى مصر

وفى مصر يُعد العصرين: **الأخشيدى والفاطمى**، من العصور الذهبية للأعياد المسيحية، إلا أن احتفالات عيدى الميلاد والغطاس فاقت فى روعتها باقى الأعياد..

لقد كان الغطاس عيداً قومياً، تحتفل به مصر احتفالاً رسمياً، شعبياً، شائقاً بلغ حده أن حاكم مصر نفسه ورجال حكومته وأُسرته ومعاونيه.. كانوا يشتركون فيه، ويأمرون بإقامة الزينة، وإيقاد النيران، وإضاءة المشاعل، وتعميم الأفراح الشعبية فى كل مكان، وتوزيع المأكولات على الأهالى، مع الصدقات على الفقراء، وكان الناس يغطسون فى النيل تبركاً بهذه المناسبة السعيدة.

ويروى **المقريزى*** عن عيد الغطاس فيقول: إنه يُعمل بمصر فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة، وأصله عند النصارى : إن يحيى بن زكريا عليه السلام ، المعروف

---

* هو أحمد عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزى، عاش فى الفترة (١٣٤٦-١٤٤٢م) وله كتاب اسماه " **الخطط المقريزية** " أفرد فيه فصلاً عن أعياد النصارى بديار مصر.

عندهم بيوحنا المعمدان عمد المسيح، أى غسّله فى بحيرة الأردن، وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء، اتصل به الروح القدس، فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم فى الماء فى هذا اليوم وينزلون فيه بأجمعهم، ولا يكون ذلك إلا فى شدة البرد، ويسمّونه يوم الغطاس، وكان له بمصر موسم عظيم إلى الغاية.

عيد الغطاس فى العصر الأخشيدي

عاشت مصر تحت حكم الرومان، ما يقرب من **سبعة** قرون، ثم تولى من بعدهم الأتراك، فحكموها حوالى **أربعة** قرون، فلما تولى **الأخشيديين*** الحكم، كان لليلة الغطاس شأن عظيم، وكان الناس- مسلمون ومسيحيون- لا ينامون فى هذه الليلة وقد حضر **المسعودى*** سنة (٣٣٠ هـ) ليلة الغطاس بمصر، و**الأخشيد محمد بن طفج** أمير مصر فى

---

* الأخشيديون هم من أصل إيرانى، حكموا مصر فى الفترة مابين (٩٣٥- ٩٦٩م)، أما اسمهم فيرجع إلى الأمير محمد بن طفج الأخشيد مؤسس الأسرة الأخشيدية الذى تولى إمارة مصر سنة (٣٢٣هـ).

* هو الإمام المسعودى، المتوفى سنة ٣٤٦هـ ، ألف كتاب أسماه مروج الذهب، لنفاسة ما حواه من أنواع العلوم وأخبار الأمم.

قصره، فى جزيرة **منيل الروضة*** وقد أمر بإقامة الزينة فى ليلة الغطاس أمام قصره، من جهته الشرقية المطلة على النيل، وأوقد ألف مشعل، غير ما أوقد أهل مصر من المشاعل والشموع على جانبى فرع النيل..

وقد حضر فى تلك الليلة آلاف البشر، من المسلمين والمسيحيين، ومنهم من احتفلوا فى الزوارق السابحة فى النيل، ومنهم من جعلوا حفلاتهم فى البيوت المشرفة على النيل ومنهم من أقاموا الصواويين على الشواطئ مظهرين ما لا يُحصى من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر.. وكانوا يقضون ليلتهم فى اللهو والعزف على آلات الطرب، والتحلى بالجواهر الثمينة والزينة..

وبشهادة المسعودى* كانت ليلة الغطاس فى مصر أيام الفاطميين والأخشيديين، **أحسن الليالى بمصر وأشملها سروراً**، ولا تُغلق البوابات التى كانت مركّبة على أفواه الدروب والحارات، بل تبقى إلى الصباح، ويغطس أكثر

---

* سُميت بأسماء كثيرة ألا وهى: الجزيرة، جزيرة مصر، جزيرة الحصن، الروضة، وموقعها بين مصر والجيزة.
* مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ، طُبع بالمطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦هـ، ج١، ص٢١٢.

الناس فى نهر النيل، مزعمين أن ذلك أمان لهم من الأمراض، ومناعة لأجسادهم من انتشار الداء..

عيد الغطاس فى العصر الفاطمى

بعد الأخشيديين آل حكم مصر إلى الخلفاء **الفاطميين*** (٩٦٩-١١٧١م) فماذا فعلوا ؟ جعلوا مصر مستقراً لهم، وحملوا إليها أموالهم وكنوزهم الثمينة... ورفات موتاهم أحضروها معهم من عاصمة مُلكهم الأصلى، ودفنوها فى تربة الزعفران حيث خان الخليلى الآن.

وتُعد الدولة الفاطمية هى الدولة الوحيدة، التى أتت بأموالها إلى مصر، خلافاً لغيرها من الدول الفاتحة، فإنها كانت تنهب خيرات مصر وكنوزها إلى بلادها*

وفى مصر بنوا القاهرة والأزهر، وما يحتفل به المسلمون من الأعياد الدينية، متمثلة فى عاشوراء وطبقه

---

* الفاطميون هم سلالة تنتسب إلى فاطمة إبنة محمد نبى الإسلام، أنشأوا دولة فى تونس فى الفترة ما بين (٩٠٩-١١٧١م)، ثم أخضعوا الشمال الإفريقى ثم مصر..

* كتب المؤرخ مصطفى بك منير أدهم مقالين نُشرا قديماً فى بعض الجرائد اليومية، وفيهما لمحة تاريخية عظيمة عن عيدى الميلاد والغطاس فى عهد الدولتين: الأخشيدية والفاطمية، ونقلتهما مجلة الكرمة فى عددها الصادر يناير ١٩٢٩م، السنة (١٥).

الشهير، والمولد النبوى، وما يُصاحب الاحتفال به من الحلوى الحمراء، خاصة العروسة التى ترمز إلى مصر، والحصان الذى يُجسّد الفروسية، وليلة الإسراء والمعراج وما تزدان به من اللبن والبلح، ورؤية هلال رمضان والفوانيس والعيد... هذه الاحتفالات كلها تعود إلى العصر الفاطمى*

ولم يكتفِ الفاطميون بما أتوا به من خيرات إلى مصر بل عطفوا على كل المصريين على اختلاف مذاهبهم، ومنهم الأقباط، فقربوهم إليهم، وجعلوا أعيادهم أعياد رسمية فى البلاد، اشترك فيها الخلفاء أنفسهم كالنيروز والميلاد والغطاس وخميس العهد..

وكانوا يُخرجون من خزائنهم العطايا، ويوزعونها على رجال الدولة، لا فرق بين مسلم ومسيحى! فكان إذا جاء عيد الغطاس يوزعون على الموظفين: الليمون، والقصب، والسمك البورى.. وكان ذلك برسوم مقررة لكل شخص، وإذا رأينا إقبال الناس على مص القصب فى هذه الليلة، واعتباره من عادات ورموز العيد فنذكّرهم بأن هذه العادة القديمة أدخلها الفاطميين في رسوم دولتهم.

---

* د/ رأفت عبد الحميد، الفكر المصرى فى العصر المسيحى ص٨.

وكانت الخيام تُنصب على الشواطئ ، **ويأتى الخليفة** ومعه أُسرته، من قصره بالقاهرة إلى مصر القديمة، وتوقد المشاعل فى البر والبحر، وتظهر أشعتها وقد اخترقت كبد السماء لكى تزينها بالأنوار البهية، ثم تُنصب الآسرة لرؤساء النصارى على شاطئ النيل فى خيامهم، وتوقد المشاعل، ويجلس الرئيس مع أهله، وبين يديه المغنون ثم **يأتى الكهنة والرهبان** وبأيديهم الصلبان، ويقيمون قداساً طويلاً ربما (قداس اللقان) .

قال **المسبّحى*** فى تاريخه من حوادث (٩٩٨ م): كان الغطاس فضُربت الخيام والسرادق والآسرة، فى عدة مواضع على شاطئ النيل، ونُصبت آسرة للرئيس فهد النصرانى* وأُوقدت له الشموع والمشاعل، وحضر المغنون، وجلس مع أهله يشرب إلى أن كان وقت الغطاس، فغطس وانصرف.

---

* هو الأمير عز الملك .. المسبّحى (٩٧٦ - ١٠٢٩م)، ولد فى فسطاط وكان كاتباً عند الحاكم بأمر الله، وألف كتاباً أسماه: أخبار مصر وفضائلها وعجائبها وطرائفها وغرائبها.. ولم ينشر.

* كان كاتباً عند الحاكم بأمر الله، وقد قدّمه على جميع الكتّاب وأصحاب الدواويين، ولكنه بعد سنوات قليلة، طلب منه الحاكم أن يُشهر إسلامه! فلما رفض أمر بقتله فنال إكليل الشهادة.

وقال فى حوادث سنة (١٠٢٥م) : وفى ليلة الأربعاء ٤ ذى القعدة سنة (٤١٥هـ)، كان غطاس النصارى، فجرى الرسم من الناس شراء الفواكه والضأن وغيره... ونزل أمير المؤمنين الظاهر **لاعزاز*** إلى قصر جده العزيز بالله فى مصر، لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم البحر وضُربت خيمة عند الجسر وجلس فيها، وأمر أميرالمؤمنين بأن توقد النار والمشاعل فى الليل، وكانت أنواراً كثيرة، وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران، فصلوا على مياه نهر النيل وباركوها، ثم نادى المنادى فغطس الناس وتفرقوا، وكان عيداً عظيماً.

وذكر **بن إياس***: إن نهر النيل كان يمتلئ بالمراكب والزوارق، ويجتمع فيها السواد الأعظم .. من المسلمين والنصارى، فإذا دخل الليل تُزين المراكب بالقناديل، وتُشعل فيها الشموع، وكذلك على جانب الشواطئ يُشعل

---

* هو ابن الحاكم بأمر الله، حكم مصر من (١٠٢١-١٠٣٦م) وقد أذن للنصارى الذين أسلموا فى أيام أبيه أن يرجعوا إلى دينهم.

* هو المؤرخ محمد بن أحمد بن إياس، من مؤرخى القرنين (١٥ ،١٦م) له كتاب اسمه " **تاريخ مصر**" المشهور باسم بدائع الزهور فى وقائع الدهور، نشرته مكتبة الأسرة فى ٥ مجلدات.

أكثر من **ألفى مشعل وألف فانوس**، وينزل رؤساء القبط فى المراكب، ولا يُغلق فى تلك الليلة دكان ولا درب ولا سوق، ويغطسون بعد العشاء فى بحر النيل، النصارى مع المسلمين سوياً، ويزعمون أن من يغطس فى تلك الليلة يأمن من الضعف فى تلك السنة.

وهكذا استمرت الاحتفالات بعيد الغطاس أجيالاً، وقد سُجلت فى كتب التاريخ، بأيدى مؤرخين ثقاة مسلمين وأقباط، كمظهر من المظاهر القومية فى مصر، ولكن مع مزيد من الأسف، لقد أثرت روح العصر التى يغلب عليها التمدين، على تقاليدنا وها هى تسعى لتمحوها!!



الفصل السادس

القيم الروحية فى عيد الغطاس

إن عيد الغطاس هو عيد العبور، نتميم خلاصى لعبــور البحر الأحمر على يد موسى النبى، وعبور نهــر الأردن بالشعب على يد يشوع بن نون نحو أرض الميعاد، والحق إن عماد رب المجد يسوع هو عبور جديد بشعب جديد - أعنى الكنيسة - نحو أرض ميعاد جديدة، روحيــة هــى كنعان السماوية.

لقد رأت الكنيسة فى عماد السيد المسيح المثل الأعلــى لعمادها، وذلك بالغوص فى الماء والصعود منه، ومسحة الميرون، وهكذا أصبحنا بالعماد نعبر من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان، من العبودية إلى حرية مجد أولاد الله، مــن الولادة والبنوة الجسدية إلى الــولادة الروحيــة الجديــدة، والبنوة الروحية لله.

إن عيد الغطاس هو **عرس روحى** بين المسيح وكنيسته المعمــدة، فيه نتذكر أن الكنيسة قد صارت أم المؤمنين، تلدهم لله بمعمودية الماء والروح أولاد مقدســين، ومــاذا نقول عن معالجة الخطية الأصلية، والمصالحة بين السماء

والأرض، بين الله والبشر،، معانى روحيه عميقة، وحقائق لاهوتية جليلة وكثيرة.. نتذكرها في هذا اليـــوم العظـــيم، أهمها الآتى:

بـر الاتضاع

فى عيد الميلاد رأينا رب المجد يسوع ينـــزل ضـــيفاً على عالم الحيوان، وما المنفعة لو نزل فى قصر يترمـــد فى زواياه جمر الحب! ويسيل المكر والغش من جدرانـــه الصماء، وتتحجب فى زواياه أنانيـــة الرجـــل وشـــهواته الجامحة..

لقد أراد السيد المسيح بميلاده الفريد أن يعطينا صورة حية لحياة **الاتضاع** والبساطة، أو قل عظة عملية، لعلهـــا تشفى أخطر مرض قد أصاب البشرية بعـــد الـــسقوط ألا وهو الكبرياء..

وفى يوم عماده المجيد يكمل المسيح بر الاتضاع الذى بدأه فى مذود بيت لحم، ففى اتضاع فريد، ينزل ابـــن الله فى نهر الأردن لكى يتقبل العماد من يوحنـــا المعمـــدان، وهو لم يرث الخطية الجدية، ولم يتسرب إليه لوثة الإثـــم، الذى سرى مفعوله فى كيان البشر، كل البـــشر، بـــسبب تمرد أبينا آدم على الله، وعصيانه أوامره ووصاياه!

لقد سجل لنا المسيح على نهر الأردن وفى بدء خدمته العلنية، الأساس الذى يجب أن تقوم عليه الخدمة الحقيقية، وهل ننكر أن الكبرياء حجر عثرة فى طريق نموننا الروحى والنفسى ؟!

والحق إن الاتضاع كان ثوباً جميلاً التحف به السيد المسيح كل حياته، ولهذا نراه فى نهاية خدمته يغسل أرجل تلاميذه (يو١٣:٨) وهكذا كانت حياته، سلسلة طويلة حلقاتها من المحبة والبر والتقوى والاتضاع... وكل ما يمجد الآب..

عندما ولد المسيح فى مذود حقير للبهائم، انفتحت السماء ونزل ملاك من السماء لكي يبشر الرعاة بالخلاص وجمهور من جند السماء ينشدون أُنشودة السلام " المجد لله فى الأعالى **وعلى الأرض السلام** "، فقد ولد مخلص هو المسيح الرب ! وأين ولد ؟

وفى الأردن انفتحت السماء أيضاً، ليتقبل الابن **تهنئة الآب ومسرته** " هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُررت "، ويحل الروح القدس فى صورة حمامة وديعة، لكى يعتمد رسالة الابن المتضع..

والحق إن مفاعيل المعمودية لم ولن تنتهى، ننالها لا فى نهر الأردن بل فى جرن صغير، ويد يوحنا التى وضعت

على رأس المسيح! سيحل محلها يد الكاهن التى لن تفارق رأسنا، للتوبة الدائمة ومغفرة الخطايا فى الاعتراف.

والروح القدس الذى نزل من السماء واستقر على رأس ابن الله لن يفارق جسدنا، ألم يقل معلمنا بولس الرسول: " أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ " (١كو٣: ١٦).

أما منظر الحمامة، الروح المعزى، الهادى، الوديع، الذى رفرف على وجه المسيح، قد انطبع على وجه جبلتنا الجديدة.. وهكذا كُتب على وجوهنا بأحرف مضيئة بارزة " **أبناء الله** ".

إعلان لاهوت المسيح

فى عيد الغطاس أعلن الله عن ذاته، وأنه الواحد المثلث الأقانيم، الآب والابن والروح القدس، ثالوث فى واحد وواحد فى ثالوث، والأقانيم **ليست أجزاء فى الله** الواحد، لأن الله لا يتجزأ ولا ينقسم، بل هى **خاصيات** تقوم عليها الذات الإلهية.

أما السيد المسيح فهو ابن الله بشهادة الآب: " هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ " (مت٣:١٧)، " صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ " (كو١: ١٥)، ألم يقل

يوحنا البشير: " اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ " ، وما معنى كلمة خبّر ؟ أعتقد أن المسيح بتجسده المنظور، قد أعلن لنا صورة الله غير المنظور (يو ١ : ١٨).

والحق إن كثيرين **يتعثرون فى فهم الثالوث المسيحى**، وبنوة المسيح الروحية، لأن نظرتهم جسدانية بحتة !! ولو أن المسيحيين يؤمنون بثلاثة آلهة!! ما نادوا بالوحدانية فى قانون إيمانهم: " **نؤمن بإله واحد** " وما قالوا: " **باسم الآب** والابن والروح القدس" بل قالوا **بأسماء..!**

وهل يُعقل أن الله الذى هو روح، قد تزوج بإمرأة وأنجب منها ابناً أسماه المسيح ؟! ومن قال إن بنوة المسيح لله الآب بنوة جسدية ؟! إنها أشبه بولادة النور من النور أو الأشعة من ذات الشمس فحيثما كانت الشمس كانت أيضاً أشعتها، منها وفيها ومعها بغير انفصال.

إن الثالوث القدوس الذى نؤمن به، والذى أعلنه الله عندما اعتمد السيد المسيح فى نهر الأردن، ليس كالثالوث المصرى الوثنى القديم، لأنه ليس اختراعاً بشرياً، إنما حقيقة إلهية، ألم يوصِ المسيح تلاميذه بعد قيامته من بين الأموات قائلاً: " اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ " (مت٢٨: ١٩).

إن العماد يعنى ترك أمور كثيرة، لا تتفق مـــع الحيـــاة الجديدة، التى يبدأها الإنسان فى مسيرته الروحية مع الله، أما أهم هذه الأمور فهى ترك الشيطان ونبذه، والكفر بـــه وبكل تعاليمه، لأن لا شركة للنور مع الظلمة، وهل ننكر أن النور لا يلتقى بالظلمة إلا لكى يبددها ؟!

والحق إن الشيطان هو عدو الإنسان الأول الذى لا ولن يكف عن محاربته، فمنذ خلقة الإنسان وهو قائم يحـــارب بكل جهده، عسى أن يلقى البشرية كلها تحت حكم الموت.

فهو الذي استطاع بمكره أن يسقط أبوينا- آدم وحواء- وتسبب فى طردهما من الفردوس، وجلب الـــشقاء علـــى البشرية كلها، وهو الذى أسقط أنبياءً وأشخاصاً حل عليهم روح الرب مثل: داود وشمشون وشاول الملك.. فهـــو لا يقف ساكتاً أمام إنسان يحيا مع الله، بل يحاربه ويسمى هذا " **حسد الشيطان** ".

وقد وصفه معلمنا القديس بطرس الرسول بعبارة قـــال فيها: " إبليس خصمكم **كأسد زائر** يجول ملتمساً من يبتلعه" (ابط ٥ :٨)، فالشيطان معروف بقوته الهائلة، لأنه قبل أن يسقط كان أحد الملائكة " **المقتدرين قوة** " (مز١٠٣: ٢٠).

ويعتبر الخداع هو المبدأ الرئيسى، الذي تنطوي عليه كل حيل الشيطان الماكرة، فهو كمزيف العملات محتال في تزييف الحقائق، ويكيّف نفسه بصورة مذهلة حسبما تقتضى الأمور..

بعد نبذ الشيطان يصبح الإنسان، مهيئ للدخول فى الحياة الروحية، والانضمام لعائلة الله، التى تمتد وتتسع يوماً بعد يوم، لأن الحاجز الأكبر الذى كان يمنع لقاء الإنسان بالله قد رُفض..

وهكذا يصبح الإنسان بالمعمودية ابناً محبوباً لله بالتبنى، يُسر بدخوله فى حياة النعمة، لقد أصبحت السمات المقدسة التى للعائلة الإلهية ترتسم على وجهه، وتلازم كل أقواله وحركاته..

وصار بالإمكان أن نقول بكل جرأة وثقة " إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ يَا أَبَا الآبُ ! " (رو٨ : ١٥) وأن نصلى إلى الله أبينا الذى أحبنا ونقول له: " أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ " (لو١١: ٢).

والحق إن المعمودية هى المدخل لكل ما هو حسن وجليل.. فمن جهة الله تصبح علاقته بنا علاقة ود وبنوة وصداقة.. ألم يقل رب المجد يسوع: " لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ

عَبِيداً لأَنَّ الْعَبْــدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَــيِّدُهُ، لَكِنِّي قَدْ سمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّـي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي" (يو١٥: ١٥).

ومن جهة الأرض تصبح علاقتنا بها علاقة نزيل فــى فندق سيغادره ولو بعد حين! فالبنوة الروحية لله تعنى أن وطننا الحقيقى لم يعد الأرض، بــل الــ**سماء** مــسكن الله وملائكته وقديسيه.

الاستنارة الروحية

إن هدف الله فى الإنسان، هو أن يرفعه مــن ســقطته الأصلية، وينهى حالة الصراع الذى يعيشه منذ المعــصية الأولى، فإذا خلص الإنسان يمكنه أن يعود ابناً لله وينضم للعائلة المقدسة من جديد، أما الخلاص فلا يتم إلا إذا ولد الإنسان من جديد، هكذا قال المسيح لنيقوديموس: " الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالــرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ " (يو٣: ٥).

ويعطينا القديس **مار إفرام السريانى**، تأملاً رائعاً عــن هذا الميلاد الجديد فيقول: فى العيد الأول ولد المسيح من البطن حسب الطبيعة، واليوم يولد من بطن الأردن حسب النعمة، اليوم أتى القدوس ليقدس لنا المياه لغفران خطايانا، لقد جاء ليعد بطن الولادة الثانية للخليقة كلها.

ويبقى السؤال: هل يمكن للإنسان أن يبدأ حياة جديدة، قبل أن يضع حداً للحياة القديمة ؟! كيف يستطيع إنسان أن يسلك بالروح إن لم يقمع شهوات الجسد ؟! أعتقد أن هذا يتحقق فى المعمودية التى هى موت وقيام، نهاية وبداية، أليست المعمودية غسل لأدناس النفس ! ولماذا الاغتسال ؟ أليس لكى يسلك الإنسان بجدة الروح!

إن كنا فى مياه المعمودية نصير أعضاء فى جسد المسيح فهذا يعنى إننا نحمل سمته المقدسة التى عبّر عنها القديس يوحنا الحبيب بأسمى عبارة ألا وهى " **الله محبة** " (١يو٤:٨) أما من يقول إنه استنار بالمعمودية وهو لا يحب! فليقرأ هذه الآية " مَنْ قَالَ إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ إِلَى الآنَ فِي الظُّلْمَةِ " (١يو٢: ٩).

أنت يوم أن اعتمدت قد صرت على صورة الله، والله روح، عش إذن بالروح! أما الروح فلا يُرى! جاهد إذن لكى تتخلص من المرئيات والماديات التى تعوق انطلاق روحك، تحرر من قيود الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة، وتمسك بالروحيات التى ستبقى فى الأبدية معك.

ونحن عندما نقول إن المعمودية استنارة، فهذا يعنى: إن الإنسان بعماده يتحرر من ظلمات الخطية، التى تحجب عنه الروح الإلهية، وهكذا بعين روحه التى انقشح

الضباب من أمامها، يتأمل الأمـــور الإلهيـــة والحقـــائق الأبدية! وبهذا المفهوم الروحى يخاطب القديس **كيـــرلس الكبير** طالبى العماد قائلاً:

" لقد اقترب يوم عرسكم، فكفوا عن الانشغال بالأمور الزمنية لتربحوا الروحية، ليتنقَ ذهنكم كما بنار، لتُـــصهر نفوسكم كالمعدن، فتزول الشوائب ويتنقى المعدن، صـــلوا لتستحقوا الأسرار السمائية الخالدة.."



الفصل السابع

ظواهر صاحبت عماد المسيح

بعد صمت طويل ظهر عهد جديد بين السماء والأرض ودخل الله فى شركة جديدة مع البشر، فى شـــخص ابنـــه الحبيب يسوع المسيح الذى اعتمد فى نهر الأردن.

فانفتاح السموات يؤكد هذا العهد، **وصوت الآب** " هذا ابنى الحبيب " يُعلن لاهوت المسيح، **ونزول الروح القدس** بشكل حمامة مستقرة على رأسه، دليل على أن المسيح قد أسس المعمودية بالروح القدس.

إنها ظواهر صاحبت عماد المسيح، إلا أنها ترمز إلـــى حقائق روحية عميقة ومعانٍ لاهوتية جليلة..

انفتاح السموات

عندما اعتمد المسيح انفتحت السموات، التى كانت قـــد **أُغلقت فى وجه الإنسان بسبب الخطية**، لا كمجرد عقاب فقط، بل كنتيجة حتمية للظلمة وانعدام الرؤيا، التى أصابت الإنسان، الذى أصبح بعد السقوط يصرخ لله فى الظـــلام، يتوسل إليه وهو رافع عينيه إلى ما وراء السماء المغلقة،

يُرسل دموعه وتوسلاته.. مع البخور المتصاعد، آملاً أن تصعد صلواته إلى أعلى، إلى ما وراء الحجاب، حيث الله الذى لا يُرى..

ولكن ما أن اعتمد المسيح وانفتحت السموات، حتى انتهت عصور الظلمة، والسموات المغلقة، وبدأت عهود جديدة، عهود الرؤى والسموات المفتوحة، ويعطينا القديس يوحنا الحبيب تأكيداً على فم السيد المسيح، أن السموات **ستظل مفتوحة** هكذا: " مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً وَمَلاَئِكَةَ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ " (يو ١ : ٥١).

وقد تحقق هذا الوعد بالفعل، فمن الناحية **الحرفية**، رأى كثيرون من القديسين السماء مفتوحة، إما فى رؤيا، أو منظر، أو فى حلم.. منذ الشهيد الأول إسطفانوس وعبوراً ببولس وبطرس ويوحنا..

ومن الناحية **الروحية**، فالسموات قد فُتحت، ولن تُغلق مرة ثانية، لتقبل صلوات الأبرار، التى تُقدم كل يوم على مذبح الحب الإلهى.

ويتساءل القديس يوحنا **ذهبى الفم**: لماذا انفتحت السموات عندما اعتمد يسوع المسيح ؟ ويُجيب على ذلك بقوله: " لكى نعرف أن نفس الأمر يحدث معنا عند عمادنا

بصورة غير منظورة، حيث يدعونا إلى الوطن السماوى، ويحرضنا ألاّ نتمسك بالأرض كثيراً ".

قد نكون على صواب لو قلنا: إن يوم عماد المسيح، هو يوم انفتاح السموات، لا على المسيح فقط بل على البشرية كلها، فالطريق من الأرض إلى السماء قد صار ممهداً.

والحق إن انفتاح السموات، ونزول الروح القدس على المسيح، إعلان عن بداية **خليقة جديدة** هدفها هو الملكوت إذن نحن فى العماد بصدد سموات جديدة، أما أرض الأردن التى وقف عليها المسيح عند عماده فقد تطهرت، فنحن إذن بصدد أرض جديدة..

وهكذا وقف المسيح وسط مياه الأردن، كفلك نوح وسط مياه الطوفان، لكى يصالح كل غرائز الإنسان المتعارضة وطباعه المستوحشة، وميوله ورغباته المنحرفة، كما جمع نوح وحوش الأرض وكواسرها معاً !

نزول الروح القدس

وكما صاحب عماد المسيح انفتاح السموات، صاحبه أيضاً نزول الروح القدس عليه بهيئة **حمامة**، وقد كان ذلك عربون انسكابه على المؤمنين، والذى تحقق بالفعل يوم الخمسين، لكن الروح القدس لم ينزل على المسيح فى

صورة ألسنة نارية، بل فى صورة حمامة، وهذا إنما يدل على كمال المسيح، فالروح القدس حل فى صورة جسم كامل.

أما فى يوم الخمسين فقد حل على التلاميذ فى صورة ألسنة، أى جزء من الجسم، للدلالة على أنهم سوف يتكلمون بلغات، ولهذا نزل الروح القدس بشكل العضو الذى تكون فيه الآية.

وقد يتساءل البعض عن سبب نزول الروح القدس فى صورة حمامة، فنجيب بأن ذلك يرجع إلى **صفاتها الحسنة** التى تميزها عن الطيور والحيوانات الأُخرى، فالوداعة، رقة العواطف، الاحتمال، الطهارة، الهدوء، العطاء.. كلها صفات تتميز بها الحمامة عن غيرها.

كما أن الحمامة ترمز للسلام، فعندما أرسل نوح حمامة من الفلك عادت إليه بغصن زيتونة فى فمها (تك ٢٨ :١٢) إشارة إلى زوال مياه الطوفان وعودة الحياة إلى الأرض مرة أُخرى، وظهور الروح القدس فى صورة حمامة، إنما يشير إلى زوال مياه طوفان الخطية عنا!

والحق إن **الحمامة قد ذهبت إلى حيث ذهبت المسيحية** ففى أماكن كثيرة نجدها منقوشة، على أقدم صورة لعماد رب المجد يسوع، المنقولة عن سراديب روما، كما وجدت

فى بلاد الهند، منقوشة على الحجر وراء مــذبح كنيــسة القديس توما، وهى أقدم أثر للمسيحية فـــى بــلاد الهنــد، ويرجع تاريخها إلى سنة (٨٥٠ م) ، حيث نرى الحمامة مرفرفة على الصليب.

كذلك وجدت الحمامة فى **سراديب روما*** ، وفى قبور الموتى القدامى، نجد شعار الحمامة مرسوماً على الجدران معلناً أن وراء شاطئ الموت يوجد شاطئاً آخر، وذلك لكى يطمئن الجميع، كما طمئنت الحمامة نــوح فـــى القــديم، ويتأكدوا أن حياتهم لن تنتهى بالموت.

ويوجد ضمن معروضات المتحف القبطى **مذبح مــن الحجر الجيرى** يرجع إلى القرن الرابع الميلادى، عليه شكل حمامة فى الوسط، وسمكة عن يمينها وأُخرى عن يسارها، ومحلاة بشكل نباتى رمزاً للكرمة المقدسة*

ولكننا نتساءل: إن كان الروح القدس هــو روح الــسيد المسيح، **فلماذا حل عليه** ؟ أعتقد أن هناك أسباباً لاهوتيــة كثيرة، لعل أهم هذه الأسباب هو الآتى:

---

* هى أماكن تحت الأرض، كان يلجأ إليها المؤمنون المسيحيون، للاختباء أثناء الاضطهاد الرومانى، وممارسة طقوسهم الدينية.
* الأستاذ عدلى حنا - مجلة الكرمة، السنة ١٧، ص ٢٦ .

- لكى يظهر الثالوث القدوس كاملاً للجميع.
- للدلالة على أُلوهية السيد المسيح.
- لكى لا يظن أحد أن يوحنا أفضل من المسيح لنسكه، أو لكونه ابن زكريا الكاهن.

صوت الآب

عندما ولد المسيح فى مذود بيت لحم، **مجدت الملائكة ميلاده** العظيم بأنشودتها الرائعة " الْمَجْدُ للَّه فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ " (لو٢: ١٤) ويوم عماده **يعتمد الآب بنوته** " هُذا هو ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ " (مت٣ : ١٧). لقد عبّر صوت الله، عن مسرته بالمسيح " ابنى الحبيب الذى به سُررت " وسرور الآب ما هو إلا صدى **للمصالحة** التى أجراها المسيح بين الخليقة كلها وبين الآب والتي بدأها بالعماد وأكملها بالصليب..

وبمجئ صوت الآب يتم قول داود النبى: " الرَّبُّ قَالَ لِي أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ " (مز٢: ٧)، ويؤيد القديس بطرس الرسول ما ظهر لمخلصنا من مجد على نهر الأردن بقوله : " لأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللَّه الآبِ كَرَامَةً وَمَجْداً، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْه صَوْتٌ كَهَذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى : هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ" (٢بط١ :١٧).

وهل ننكر أن مجئ صوت الآب من السماء، إعــلان واضح أن سماع كلام الله، لم يعد قاصراً على رئيس الكهنة وحده أو على موضع تابوت العهد فى قدس الأقــداس، أو فوق الغطاء المسمى كرسى الرحمة، بل صار منذ لحظــة عماد المسيح يُسمع من فوق، من أعلى السموات كما سمعه يوحنا الحبيب علناً فى جزيرة بطمس (رؤ ١ : ١٠).

ولهذا عندما شهد بطرس الرسول للمسيح قائلاً: " أنت هو المسيح ابن الله الحى" ، نبّهه السيد المسيح عن مصدر الصوت إذ قال له " إن لحماً ودماً لم يُعلن لك لكن أبى الذى فى السموات " (مت١٦: ١٦ ،١٧).. وهكذا بنزول المسيح فى نهر الأردن، وحلول الروح القدس عليه بصورة حمامة، وإعلان بنوة الآب له، تكون معموديتنا المقدسة قد دُشــنت باسم الثالوث القدوس: **الآب والابن والروح القدس.**



الفصل الثامن

نهر الأردن حيث اعتمد المسيح

عندما نتحدث عن الأردن، فنحن فى الحقيقة لا نتحدث عن جولوجيا، بل **نهر النعمة** الذى يملأ كنائسنا، ويصب مياهه المقدسة فى أجران معمودياتنا.

وهذا النهر لا ينبع فى فلسطين وحدها، بل يُغطّى كل العالم، ويدخل إلى الفردوس، ويفيض عليه بأُناس مولودين بالروح.

فى ميلاد المسيح، قبلت الخليقة الخالق من **بطن البتول!** وفى يوم عماده تقبل العروس العريس من **بطن الأردن**، بدل من ذراعى العذراء تقبله أمواج الأردن، وبدل من الركبتين تحمله أمواج السيول، وعوض القمط تلفه الأمواج المبللة !

إن الطفل الذى سكن بطن البتول، ليقدس المولودين الجدد يذهب إلى الأردن، ويتقدم إلى يوحنا المعمدان ليفتح باب العماد، لكى يقدس المولودين منه، لقد ولد فى مغارة بيت لحم ولداً، ويوم عماده تقبله الأردن رباً، وبدلاً من المذود الذى قبله طفلاً، تقبله الأردن رجلاً بالغاً فاهماً..

فى الطريق إلى أرض كنعان، **عبر يشوع بن نون** نهر الأردن، ومعه الكهنة حاملين تابوت العهد، الذى كان فـــى داخله لوحى الشريعة، وكأننا فى مياه المعموديـــة، نلتقـــى بيسوعنا المخلص كلمة الله، واهب الحياة ليقودنا إلى كنعان السماوية.

وعندما حاول أبشالوم اغتصاب المُلك من داود أبيـــه، **عبر داود** نهر الأردن، ومعه رجاله إلى مدينـــة للاويـــين اسمها محنايم (٢صم٢:٨) ولكن داود يعود إلى ملكه ويهلك أبشالوم! وهذا إنما يشير إلى أن من يعتمد وإن تألم فسوف يعود إلى مسكنه، إن لم يكن الأرضى فسوف يعـــود إلـــى المسكن السماوى، الذى أعده له ابن الله، لكل الذين أحبوه، وعاشوا بحسب وصاياه المقدسة..

وقبل **صعود إيليا النبى إلى السماء** (٢مل٢)، اجتـــاز نهر الأردن، وفى هذا إشارة إلى أن كل من يعتمد بالروح والحق، يصعد من الأرض إلى السماء، نستطيع أن نقول:

إن المعمودية جسر نعبر
عليه من حياة إلى حياة.

كان للأردن عينان، إحداهما تُدعى **(نون)** لرى أراضى الشعوب، والأُخرى **(دنان)** ومنها يشرب شعب إســرائيل،

فاعتماد السيد المسيح فى الأردن، دليل على اجتماع الأمــم الوثنية مع شعب الله فى نعمته المخلصة، وهكذا بالعماد لم يعد هناك " فَرْقَ بَيْنَ الْيَهُودِيِّ وَ الْيُونَانِيِّ لأَنَّ رَبّاً وَاحِداً لِلْجَمِيعِ" (رو ١٠: ١٢).

من المعروف أن نهر الأردن يمر فى **بحيرة طبرية**، ولكن دون أن يختلط ماؤه العذب بمائها المالح، وهذا إنما يدل على أن كل من يعتمد بالروح، يحيا فى العالم دون أن يحيا فيه العالم، فيكون كالسفينة التى تحيا فى الماء دون أن يحيا الماء فيها، لأن تسرب الماء إلى السفينة يعنى غرقها، أى هلاكها.

ولكننا نتساءل: لماذا **اختار الله الماء** بالذات، لكى يكون مادة سر المعمودية ؟ ألا توجد مواد أُخرى تصلح أن تكون مادة لهذا السر ؟ على هذا السؤال **يُجيب ذهبى الفم** قائلاً:

إن المعمودية تحمل عدة رموز: كالدفن، الموت، الحياة.. وكل ذلك يتم بفعل واحد ألا وهو: **التغطيس**، فتغطيس الرأس فى الماء يمثل القبر، الذى ندفن فيه إنساننا العتيق لكى نخرج منه إنسان جديد، وبهذه الطريقة البسيطة يدفن الله الإنسان القديم ويُلبسنا الجديد.

لا تتعجبوا !! ففى مياه البحر الأحمر قد مات الإنسان الشرير (**فرعون وجنوده**)، ونجا الإنسان الحر الخارج من

الماء (**موسى وشعب إسرائيل**)، وإن كانت مياه الطوفان قد أهلكت البشرية كلها، إلا أن نوحاً وبنيه قد نجوا من خلالها، ولكن عن طريق الفلك الذى هو في الحقيقة من أبرز رموز المعمودية.

والحق أن للماء **علاقة بالحياة** منذ بداية الخليقة، يقول الكتاب المقدس: " وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْـرِ ظُلْمَةٌ وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ " (تك١: ٢) وقال الله "لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ " (تك١: ٢٠) وهكذا خرجت الحياة من الماء، وفى نفس الوقت نجد ربطاً بين ثلاثة ألا وهم: **الماء والحياة وروح الله.**

هذا وقد شبه الله نفسه بمصدر المياه التى يقصد بها مصدر الحياه، فيقول في تبكيته لشعبه: " تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّـةِ لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ آبَاراً آبَاراً مُشَـقَّقَةً لاَ تَضْبُطُ مَاءً " (إر٢: ١٣).

وفى حديثه مع المرأة السامرية، يُعطى المسيح المـاء واهب الحياة، إذ قال للمرأة: " مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّـذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ، يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ " (يو٤: ٤).

من صفات الماء **تليين الأحجار**، والروح القدس أيضاً يلين القلوب الحجرية، ويحولها إلى قلوب لحمية تـشعر

بالآخرين وتتفاعل معهم، أتذكرون قول الرب في سفر حزقيال النبي: " وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ " (حز٣٦: ٢٦).

كما أن الماء **يُطفئ النار**، وهكذا أيضاً الروح القدس، يُطفئ نيران الخطايا والشهوات.. ولهذا يجب أن نقول مع القديس بولس الرسول: " لاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ " (أف٤: ٣٠).

وإن كانت أهم صفات الماء أنه **يروى ويغسل وينظف** ويُطهر.. فالروح القدس يعمل أيضاً هذه الأشياء في النفس المعمدة، بالإضافة إلى تعزياته الروحية " وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِراً فَتُطَهَّرُونَ مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ " (حز٦: ٢٥).

إن الماء ينزل من السماء **مادة واحدة**، ولكنه يُرى أحمر في الورود، وأخضر في الأعشاب، وأبيض في السوسن، والروح القدس، على الرغم من أنه واحد في طبيعته، إلا أنه يُعطي لكل مؤمن مواهب خاصة به وهي تختلف عن غيره، حسب روحانية كل إنسان.

ألا يُروى النبات بالماء، ليثمر أثماراً..! والروح القدس أيضاً ما أكثر مواهبه في المؤمنين.. (غل ٥:٢٢).

الفصل التاسع
أيقونة عماد المسيح

إن من يتأمل أيقونة عماد المسيح فى الفن البيزنطى* يرى أنها تجسيد لنصوص من الكتاب المقدس، وبعض التفاصيل المقتبسة من الطقوس الكنسية، ففى وسط اللوحة نرى **نهر الأردن** بلونه الأزرق، ينساب كالأفعوان بين الصخور، **ويسوع المسيح فى وسطه** عارياً أو مؤتزراً بمنشفة، وينظر للقديس يوحنا المعمدان مواجهة لكى يتقبل منه العماد، وبيده اليمنى يبارك المياه.

أما المعمدان فيظهر **واقفاً** على ضفة النهر، وقد **وضع يده** اليمنى على هامة المخلص، وبإشارة من يده اليسرى يعبّر عن **عدم أهليته** لتعميد رب المجد يسوع "أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ ! " (مت٣: ١٤).

وفى بعض الأيقونات الأُخرى، نرى يوحنا وله **جناحين** " فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ

---

* لم أتحدث عن أيقونة عماد السيد المسيح فى الفن القبطى، لأنها موجودة بكنائسنا، ونراها باستمرار، ونعرف معانيها .

وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ " (مت١١: ١٠)، أما وضع يد يوحنا على رأس المسيح، فلم يأتِ ذكره فى الأناجيل، إلا أن هذا الطقس كان متبعاً فى العهد القديم، عند رسامة أو تكريس أى شخص لخدمة الرب، وأول مرة نقرأ عن وضع اليد فى العهد القديم، نجده فى قصة تكريس يشوع بن نون بواسطة موسى النبى (عد ٢٧: ١٨-٢٢).. ويفسر البعض هذا المنظر، بأن يوحنا قد **حمل خطايا كل العالم ووضعها على رأس المسيح**، الذى أغرقها فى الماء عندما نزل ليعتمد.

وهذا التأمل مستمد من فكرة الذبيحة فى العهد القديم، إذ كان الخاطئ يأتى بذبيحة ويضع يده على رأسها، ثم تذبح فتغفر له خطيته، فالذبيحة لم تفعل خطية ولكنها تموت نيابة عن الخاطئ، وهكذا المسيح أيضاً لم يفعل فى حياته خطية، ولكن كما قال إشعياء النبى " كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ **وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا** " (إش٥٣: ٦).

أما على الضفة الأُخرى المواجهة ليوحنا المعمدان، فنرى ثلاثة ملائكة أو أكثر، ينظر إثنان منهم إلى الرب بتهيب، والثالث ينظر إلى السماء مصغياً، ويحمل الثلاثة على أيدهم **منشفة** أو قطعة نسيج، ويستعدون لتنشيف جسد المسيح لدى صعوده من الماء.

وعلى رؤوس أشخاص الأيقونة نرى **هالة من نـور**، وهالة السيد المسيح فى الفن البيزنطى كُتب عليها الأحرف **اليونانية ΟΩΝ** ومعناها " **الكائن**" إشارة إلى أُقنومه الإلهى وتحوم حول رأسه المقدسة **حمامة** تحيط بها هالة نور فـى أكثر الأحيان.

أما أسفل اللوحة فنشاهد **شيخاً** منغمساً فى مياه النهـر، يفرغ جرة ماء كرمز للآية " الْبَحْرُ رَآهُ فَهَرَبَ الأُرْدُنُّ رَجَعَ إِلَى خَلْفٍ " (مز١٤ : ٣).

وفى النهر **إمرأة متوجـة**، وبيدها اليسرى صـولجان، وتمتطى تنيناً، وتشير بيدها اليسرى إلى المسيح المعتمـد، وهى رمز للنفس التى تطهرت بماء العماد وانتصرت على الشر.

وهناك عند أقدام المعمدان **شجرة صغيرة** قـد وضـع عليها فأس، كقول الكتاب المقدس: " وَالآنَ قَـدْ وُضِـعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَـراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِـي النَّارِ " (مت٣: ١٠).

فى بعض الأيقونات، يبدو وجه المسيح **مغموراً بالماء**، رمز الدفن وموت الإنسان العتيق فى العماد (رو٥: ٣-٥)، أما الصعود من المياه فهو يرمز إلى القيامة (غل٣:٢٧).

الفصل العاشر

طقوس عيد الغطاس

إن أى ديانة تريد أن تغور فى أعماق النفس البشرية وتطبع فيها آثاراً ثابتة خالدة لا تمحى، يجب أن تكون ديانة طقسية، تقدم المعانى الروحية فى مظاهر مادية، تجتذب انتباه الحواس وتهبها لذة، فالطقوس إذن حلقة لا تنفصل عن الديانة، لأن الحقائق المجردة لابد لها من طقوس تقربها إلى الأفهام *

ولا شك إن عيد الغطاس غنى بطقوسه وألحانه، كما أن البرمون له مكانة عظيمة فى كنيستنا القبطية، ولهذا رأينا أن نتحدث أولاً عن برمون عيد الغطاس وطقوسه، قبل أن نتحدث عن طقوس العيد.

برمون عيد الغطاس

تُطلق كلمة البرمون على **الصوم النسكى، التعبدى السابق مباشرة على عيدى الميلاد والغطاس**، وهو يُعد

---

* أنبا غريغوريوس ـ موسوعة اللاهوت الطقسى، ص١٨-١٩.

من أصوام المرتبة الأولى، وهو لهذا يُعامل معاملة صوم الأربعين المقدسة، وأسبوع الآلام، وصوم الأربعاء والجمعة، فيُصام انقطاعياً إلى المساء ولا يؤكل فيه السمك.

وتتراوح مدة هذا الصوم بين يوم واحد وثلاثة أيام على أكثر تقدير، فإذا وقع عيد الميلاد أو الغطاس يوم السبت كان البرمون يوماً هو (**الجمعة**)، وإذا وقع يوم الأحد كان يومان هما (**الجمعة والسبت**) أما إذا وقع يوم الإثنين كان ثلاثة أيام وهى: **الجمعة والسبت والأحد**، لأن الكنيسة قد رتبت ألا يُصام يومى السبت والأحد انقطاعياً على مدار السنة، وإن كان يُمتنع فيهما عن أكل الأطعمة الحيوانية *

ولما كان يوم **السبت الكبير**، وهو السابق على عيد القيامة المجيد، يُصام انقطاعياً دون سائر السبوت، لأن السيد المسيح مخلصنا كان فيه مدفوناً فى القبر، فهو يُصام

---

* إن كلمة نسك فى اليونانية Askesis تعنى: تليين الشئ بالتمرين والعمل فى مادة خام لاستخراج أفضل ما فيها، وللنسك جانبان، أولهما: مقاومة الرذائل، وثانيهما: التدريب على اكتساب الفضائل، ويُعد الجانب الأول وسيلة للوصول إلى الثانى الذى هو الهدف.
(راجع كتاب " **معنى البرية** " فى الوقت الحاضر، للأب / فاضل سيداروس اليسوعى ص٩٧، ٩٨).

صوماً نسكياً *، من دون الحاجة إلى تسميته بـالبرمون، واحتفظت الكنيسة بالبرمون بالنسبة لليوم السابق على عيدى الميلاد والغطاس، حتى يـزداد إحساسنا النفسى والجسدى بالفارق بين يوم البرمون ويوم العيد التالى لـه، وبهذا يزداد إحساسنا بالفرح.

أما كلمة برمون، فهى دخيلة على اللغتين: العربية والقبطية، وهى ترجمة للكلمة اليونانية " παραμονη " برمونى ومعناها الحرفى: الإستمرار فى الخدمة والمثابرة والثبات، والمعنى السائد الآن هو: **استعداد**.

طقس البرمون

تُصلى تسبحة عشية ونصف الليل، كما هو متبع فى الطقس السنوى، مع مراعاة الترتيب الخاص بالإبصاليات **السبعة** والطروحات **الستة**، الواردة بكتاب طروحات وإبصاليات برمونى وعيدى الميلاد والغطاس.

وفى القداس يُقدم الحمل بعد صلاة المزامير، ويمكن أن تُصلى المزامير حتى الساعة التاسعة، وفى عشية العيد تُصلى الغروب والنوم وفى الأديرة تُضاف إليهما صلاة

---

* أنبا غريغوريوس - أصوامنا العامة السبعة،ج١، ص٦٦ ـ٦٩

الستار.. ويُكمل القداس كما هــو معتــاد، وأثنــاء يُقــال المزمور ١٥٠ فى التوزيع بطريق الــسنوية المعروفــة، وبعده يُقال لحن " أونشتى Ⲟⲩⲛⲓϣϯ " وكلماته مأخوذة من ذكصولوجية برمون الغطاس التى مطلعهــا " ســر عظيم الذى أعلنه لك يا يوحنا بن زكريا "*



---

* لحن يُقال بطريقة "Ⲁⲣⲓⲡⲣⲉⲥⲃⲉⲩⲓⲛ أربريسفافين" الذى يُقال فى التمجيد، وهو من الألحان غير المعروفة التى يحتفظ بها ديرنا العامر، ضمن تراثه الطقسى وله تسجيلات بالدير.

تـسبحة ورفع بخور عشية

تُصلى تسبحة عشية **بدون مزامير**، لأنها قُــرأت فــى قداس البرمون، أما إذا صلوا المزامير حتى صلاة الساعة التاسعة، فيكمل فى العــشية مزاميــر الغــروب والنــوم ويُضاف إليهما الستار فى الأديرة، وبعد الهــوس الرابــع تُقال **إبصالية واحدة** من إبصاليات الغطاس السبعة حسبما يوافق اليوم، ثم فى ختام التسبحة يُقرأ **الطرح** الملائم..

بعد التسبحة يُرفع البخور كما هو معتاد بصلاة الشكر، وبعدها يُردد الشمامسة أرباع الناقوس بالطريقة الفرايحى، ويقول الكاهن **أوشية الراقدين وليس المرضى**، وبعــدها تُقال الذكصولوجيات الخاصة بعيد الغطاس المجيد، وبعد Ⲫⲛⲟⲩϯⲛⲁⲓⲛⲁⲛ افنوتىناى نان، يقــول الشمامــسة أمين كيرياليسون بالكبير ثلاثة مرات، بعدها يقول الكاهن أوشية الإنجيل، ويُطرح المزمور: إما بالطريقة الفرايحي المختصرة أو السنجارى المختصر، ويُقرأ الإنجيل قبطيــاً وعربياً، وتكمّل الصلاة كالمعتاد مع مراعاة مرد المزمور والإنجيل بطريقتهما الفرايحى المعروفة .

تسبحة نصف الليل

تبدأ تسبحة نصف الليل بدون مزامير، بل تُقال البسملة وذوكصابترى، وأبانا الذى فى السموات، وصلاة الشكر، والمزمور الخمسين، ثم يُقال لحن **آللى نصف الليل أو الهوس الكبير**، وبعده يُقرأ هوس العيد قبطياً وعربياً وهو عبارة عن قطع من المزامير تلائم أحداث الغطاس، ثم تُصلى التسبحة بإبصالياتها السبعة وطروحاتها الستة *

ويجب مراعاة أن ألحان: لبش الهوس الأول والثانى وتين أويه إنثوك ولبش التذاكية* تُقال بالطريقة **الفرايحى** الخاصة بها.

ثم يُقرأ **دفنار** اليوم، **وختام** التذاكيات الآدام أو الواطس حسبما يوافق يوم العيد، ويُقال قانون الإيمان وتختم التسبحة بالطلبة المعروفة **أمين كيرياليسون**، وبعدها يقول الكاهن تحليل نصف الليل.

---

* راجع الإبصاليات والطروحات بكتاب طروحات وإبصاليات برمونى وعيدى الميلاد والغطاس، أما ترتيب الإبصاليات فموجود بإبصلمودية نهضة الكنائس فى المقدمة.

* لايزال ديرنا العامر يقول لبشى الهوس الأول والثانى والألباش الآدام فى الأعياد بنفس طريقة " مارن أو أونه " الفرايحى والألباش الواطس تُقال على وزن الشيرات الفرايحى.

ويلاحظ أن **تسبحة نصف الليل** فـي عيـد الغطـاس بالذات، **تُصلى على اللقان**، إذ فيه نستعيد ذكريات العماد، ولِذا فإن كل قراءات العيد وطقوسه تـشير إلـى ذلـك.. وبانتهاء التسبحة يتوجه الكهنة والشمامـسة إلـى مكـان المغطس ليبدأوا صلاة اللقان.

اللقـان

هناك من يرى: إن كلمة لقان "λεκανη" مشتقة من الكلمة **اليونانية** "λεζο" ومعناها يُعلم أو يُلقّن*

أما الآن فقد أصبحت الكلمة مصطلح كنسى تُطلق على الحوض أو المغسل، الذى فيه يوضع فيه ماء اللقـان..

وفيما يخص تاريخ اللقان قال القديس **أمبروسيوس**: إن هذا التذكار(لقان خميس العهد) أُخذ عن المـسيح نفـسه ورسله.

أما طقس اللقان فيُمارس **ثلاث مرات** فى السنة، ولكل لقان طقسه الخاص:

الأولى: يوم **خميس العهد**، كما فعل السيد المسيح مـع تلاميذه ليلة آلامه (يو١٣ :٥) ويتم فى الساعة التاسعة من

---

* القمص رويس الأنطونى- قاموس الطقوس، ص٩٨

يوم خميس البصخة، وفيه يغسل الكاهن أرجل الشعب، أو يرشمها إن كانوا كثيرين، مثلما غسل المسيح أرجل تلاميذه.

الثانية: فى **عيد الغطاس**، لإحياء ذكرى عماد المسيح، على يد يوحنا المعمدان، ويُمارس طقس اللقان قبل رفع بخور باكر، وفيه يرشم الكاهن كل فرد من الشعب، ثلاث رشومات فى جبهته، على مثال الثالوث القدوس، الذى ظهر وقت عماد المسيح.

الثالثة: فى **عيد الرسل** لكى نتذكّر محبتهم واتضاعهم وبذلهم من أجل المسيح، ويبدأ طقس اللقان بعد رفع بخور باكر، وفيه يغسل الكاهن أقدام الشعب، تعبيراً عن الخدمة الحقيقية، هكذا قال المسيح بعد أن غسل أرجل تلاميذه: " فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ" (يو ١٤:١٣).

ونحن لا ننكر أن اللقان ليس سراً كباقى أسرار الكنيسة السبعة، إلا أن **فوائده** كثيرة، لعل أعظم هذه الفوائد هو **التواضع**، الذى أظهره رب المجد عندما غسل أرجل تلاميذه، ولهذا يقول القديس **يوحنا ذهبى الفم**:

" إن السيد المسيح غسل الأرجل، لكى يُظهر للتلاميذ وسائر المؤمنين مثالاً للتواضع والمحبة ليقتدوا به ".

كما **يُحيى** اللقان **فينا الذكريات** التى تم فيها تقديس الماء سواء بواسطة المسيح، أو فى العماد، أو بواسطة الرسل، وهذا يذكّرنا بعمل الله مع شعبه، ولهذا أمـــر الله شـــعب إسرائيل أن يعلّموا أولادهم كيفية عبور البحـــر الأحمـــر، وهلاك الأعداء، وذبح خروف الفصح، ليتذكّروا عمل الله مع آبائهم، وفى عيد المظال كانوا يخرجون إلى البريـــة، ساكنين الخيام تذكاراً لتغرّبهم فى برية سيناء (٤٠) سنة.

وما أجمل ترتيب كنيستنا، عندما تريد أن تعلّم أولادها، ضرورة **غسل النفس من أقذار الذنوب بدموع التوبـــة**، وذلك قبل الإقتراب من جسد الرب ودمه بالمناولة ولهذا يسبق طقس اللقان تقديم الحمل أتذكرون قـــول صـــموئيل النبى: " **تقدسوا و تعالوا معي الى الذبيحة** " (١صم١٦: ٥).

كما أن صلوات وقراءات وطُقوس اللقان... ما أكثـــر فوائدها، فمثلاً كيرياليسون التى تُقال (١٠٠ مرة) تـــذكّرنا برحمة الله الواسعة التى نطلبها بلجاجة، حتى نثمر مئـــة، كما قال الكتاب المقدس: " وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَـــراً بَعْضٌ **مِئَةً**، وَآخَـــرُ سِتِّينَ، وَآخَـــرُ ثَلاَثِينَ (مت١٣: ٨).

وكما أن كل شئ " **يتقدس بكَلِمَةِ اللهِ وَالـــصَّلاَةِ** " كقول معلمنا بولس الرسول (١تى٤: ٥) هكذا أيضاً الماء يصير

فى اللقان مقدساً، ومن المعروف أن كل شئ تقــدس لــه بركاته الخاصة.. وهكذا امتدت فكرة تقديس الماء فى عيد الغطاس، إلى عامة الشعب، فاعتبروا أن الماء المُــصلى عليه فى اللقان، له قوة الشفاء والتقديس.

يقول ذهبى الفم

" وفى هذه المناسبة التى لذكرى عماد المخلص، التــى فيها قدّس طبيعة الماء، اعتاد الشعب عند انصرافه بعــد منتصف الليل، أن يأخذ معه من الكنيسة جزء من الميــاه المقدسة، وكانوا يحتفظون به ".

طقس اللقان

يبدأ كالمعتاد بصلاة الشكر، وبعدها يردد الشمامسة ما يلائم المناسبة من إرباع الناقوس، ثم المزمور الخمــسين، وبعده تُقال ذوكصاصى أوس باللحن، ثم تُقــرأ النبــوات وعددها سبعة، وبعدها يقول الشمامسة لحن Ⲧⲁⲓϣⲟⲩⲣⲓ تاى شورى، وتين أوأوشــت Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱϣⲧ ثــم يُقــرأ البولس قبطياً وعربياً، وبعده يُقال لحن الغطاس المعروف Ⲟⲩⲣⲁⲛⲛ̀ϣⲟⲩϣⲟ أوران إن شوشـــو، ثـــم الثلاثـــة التقديسات، وبعدها يقول الكاهن أوشية الإنجيل، ويُطــرح المزمور بالطريقة الفرايحى المختصرة، ويُقــرأ الإنجيــل

قبطياً وعربياً، وبعده يرفع الكاهن الصليب وعليه الشموع الثلاثة مضيئة ويقول Ⲫⲛⲟⲩϯⲛⲁⲓⲛⲁⲛ افنوتى نـــاى نان، فيرد الشعب أمين كيرياليسون (١٠) مرات بالكبير، ثم مرد الإنجيل.

ويصلى الكاهن الأواشى الـــسبعة وهـــى: المرضـــى، المسافرين، الأهويـــة، الـــرئيس، الراقـــدين، القـــرابين، الموعوظين، ثم الطلبة، وبعدها يردد الشعب كيرياليـــسون (١٠٠) مرة، فيقول الكاهن الأواشـــى الثلاثـــة الكبـــار: السلامة، الآباء، الإجتماعات، ثم قانون الإيمان.

وبعد الأسبمس الآدام يبدأ الكاهن بصلاة قداس اللقـــان، وفى ختامه تُقال أبانا الذى فى السموات، ويقول الكـــاهن التحاليل الثلاثة والبركة، ويرشم الشعب فى جباههم ثلاث مرات، وأثناء الرشم يُردد الشمامـــسة المزمـــور (١٥٠) باللحن الفرايحى، ثم تُقال الإبصالية الواطس، وبعدها يتلو الكاهن صلاة شكر بعد اللقان.

بانتهاء طقس اللقان، يتقدم الكهنـــة والشمامـــسة إلـــى الخورس الأول، ويبدأون رفع بخور باكر كالمعتاد بصلاة الشكر، وبعدها يرتل الشمامسة إرباع الناقوس بالطريقـــة الفرايحى مبتدئين بالجزء الأول من ذكصـــولوجية باكـــر الآدام Ⲧⲉⲛⲟⲩⲱⲧ حتى ϩⲓⲧⲉⲛⲛⲟⲩⲉⲩⲱⲓ ثم يصلى

الكاهن أوشية المرضى، وبعدها يُلحن الجزء المتبقى من ذكصولوجية باكر بطريقة السبع طرائق.

ثم يقول الكاهن أوشية القرابين، فيقول الشمامسة فلنسبح مع الملائكة، وما يلائم من الذكصولوجيات ومدائح العيد، ثم قانون الإيمان.. وبعده يرفع الكاهن الصليب وعليه الشموع الثلاثة مضاءة ويقول افنوتى ناى نان Ⲫⲛⲟⲩϯⲛⲁⲓⲛⲁⲛ فيرد الشعب أمين كيرياليسون بالكبير ثلاث مرات، وبعد أوشية الإنجيل يُلحن المزمور بالطريقة الفرايحى المختصرة أو السنجارى المختصر ويقرأ الإنجيل قبطياً وعربياً، وبعده مرد الإنجيل يُصلى الكاهن الأواشى الصغار، ويختم رفع البخور بالتحاليل.

القداس

يُقدم الحمل بدون صلاة مزامير كما هو الحال فى عيدى الميلاد والقيامة، وذلك لعدة أسباب:-

١- لتلاوة المزامير فى قداس البرمون، الذى قديماً كان ينتهى قبل الغروب.

٢- كما أن وقت القداس ليس له مزامير خاصة، ولا يجوز صلاة مزامير الساعة الثالثة أو السادسة فى ذلك الوقت المتأخر.

٣- وأيضاً لأن الكنيسة تنشد ترانيم البهجة الخاصة بالغطاس، فى حين أن المزامير تحوى الكثير من النبوات الخاصة بالصلب والآلام التى لا تلائم مناسبة العيد.

٤- كما أن المزامير الخاصة بالعيد، تم قرأتها فى هوس العيد وذلك فى بداية تسبحة نصف الليل.

ولهذا يُقال آللى القربان بلحنه المعروف أثناء تقديم الحمل، وهو أقرب لمناسبة العيد من لحن **أبيناف شوب**
Ⲁⲡⲓⲛⲁⲩϣⲱⲡⲓ

ويُصلى القداس بالنغم الفرايحى، وقد اعتادت الكنيسة أن تُصلى بقداس القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات فى الأعياد، ويمكن أن يُقال البولس الفرايحى، ويُراعى ما يخص العيد من الهيتينيات ومرد الإبركسيس والأسبسموسى الواطس والآدام، والألحان الأُخرى..

ثم يُكمل القداس كالمعتاد، ولا يُقرأ السنكسار*، وفى التوزيع يُقال المزمور (١٥٠) بالطريقة الفرايحى

* لأن السنكسار هو تواريخ نياحة القديسين، وفى يوم إشراق قيامة شمس البر تحتجب الكواكب والنجوم، كما أن السنكسار يحوى العديد من سير الشهداء الذين تألموا على اسم المسيح، والكنيسة لا تريد أن تجعل أى شيئ مهما كان أن يعطل أفراحها وبهجتها بقيامة السيد المسيح من بين الأموات.

المعروفة* وبعده المدائح الخاصة بالغطاس ويمكن أن يُقال في التوزيع لحن أوران إن شوشو Ovpanǹϣovϣo.

ملاحظات

يُصلى بطقس الغطاس الفرايحى، من عيد الغطاس إلى عيد عرس قانا الجليل (٨طوبه).

تحتفل الكنيسة بأعياد الغطاس والميلاد والقيامة لـيلاً، **لتمجيدهم وتميزهم** عن باقى الأعياد وذلك لسموهم وعظم شرفهم، ولكى تكون هناك فرصة لحضور كل الناس.

وأيضا لأن ميلاد المسيح كان ليلاً (لو٢: ٨،٩) وعيد الغطاس كان يُحتفل به قديماً مع عيد الميلاد كما ذكرنا فى تاريخ العيد، كما أن حديث السيد المسيح مع نيقوديموس عن المعمودية المقدسة، التى هى جوهر عيد الغطاس كان **ليلاً**، يقول الكتاب المقدس: " هَذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً وَقَالَ لَهُ.." (يو٣:٢).

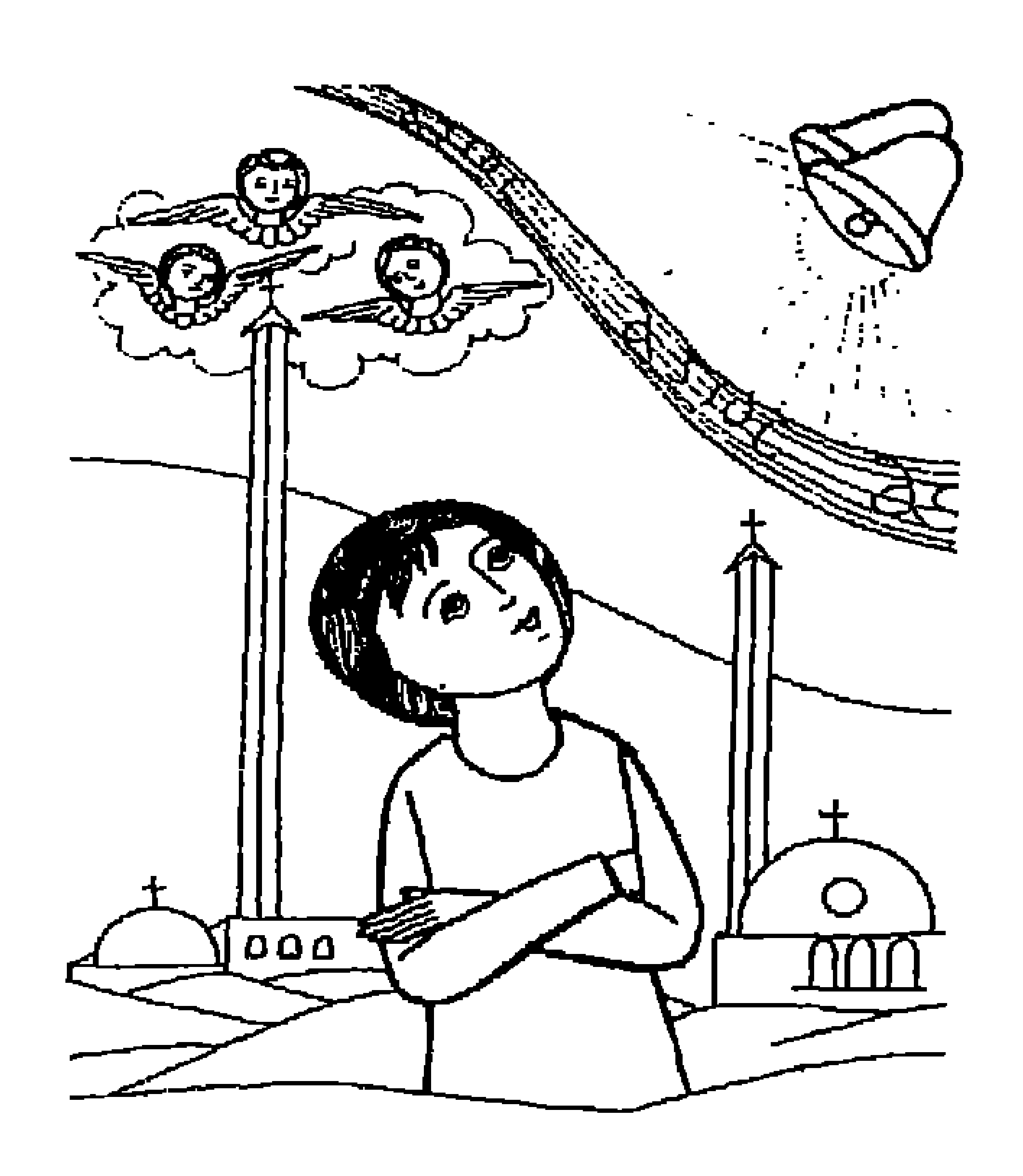
أما بالنسبة لعيد القيامة، فقد ذكر الإنجيل: إن قيامة المسيح كانت باكراً جداً والظلام باقٍ (يو٢٠:١).

---

* يوجد بدير المحرق تسجيل للحن الليلويا الفرايحى باللحن الكبير وهو من تراث ديرنا العريق، وقد بدأ الآن ينتشر فى الكنائس.

يقول القديس باسيليوس

" لأجل يوم الميلاد المقدس الذى لمخلصنا من مريم القديسة ويوم الإبيفانيا، فإنه فى الزمان الذى اجتمع فيه المجمع المقدس فى نيقية أمروا أن يتناولوا فيها بالليل *



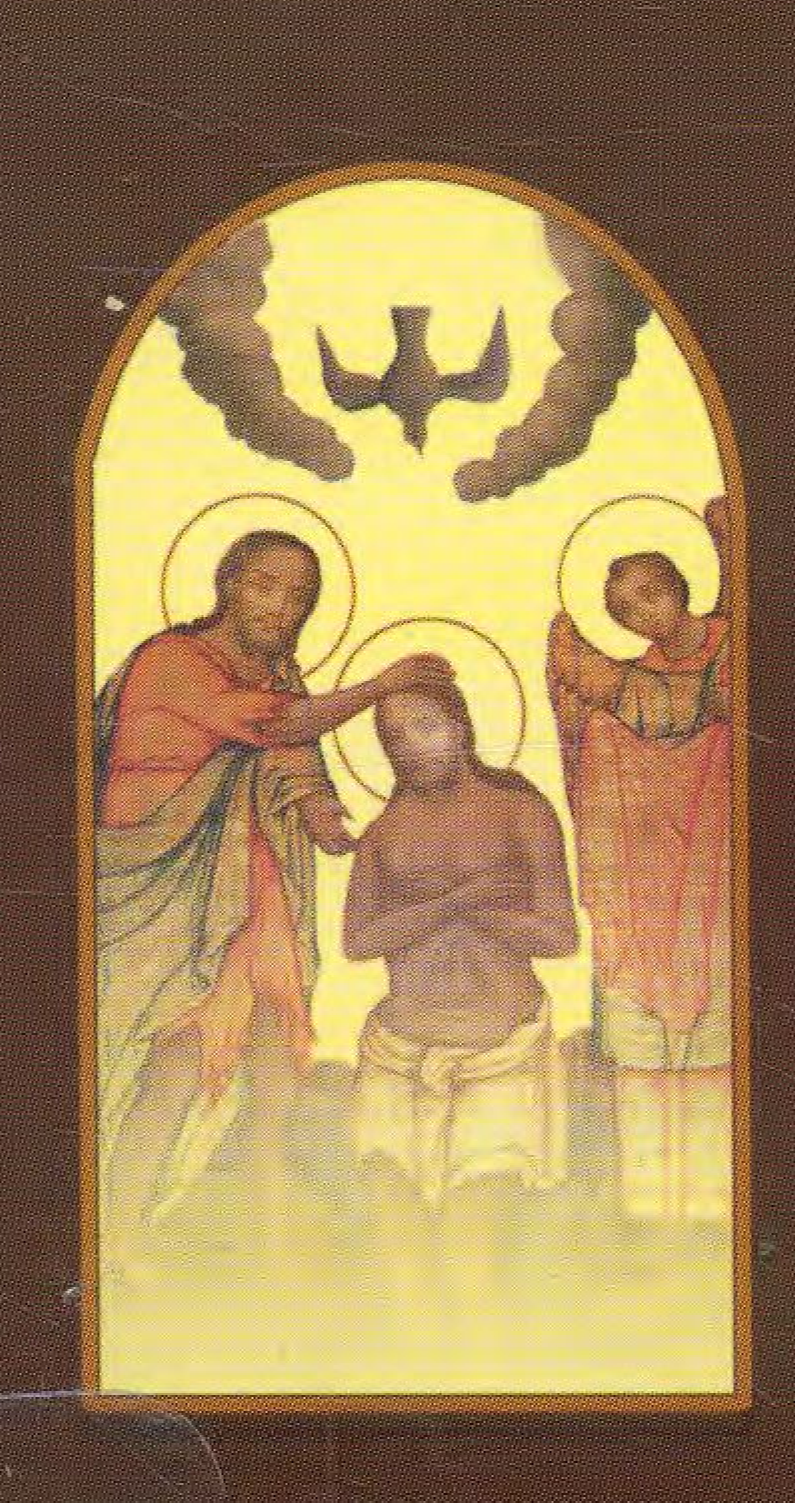
* راجع القانون رقم (٣٠) - القديس باسيليوس الكبير، إصدار دير السريان العامر، ص ٣٥٤.

الفهرست





١- شوكة الخطية (طبعة رابعة)　٢- الآخر فى حياتى
٣- رسالة تعزية (طبعة ثانية)　٤- عيد الميلاد
٥- عصر القلق (طبعة ثانية)　٦- أسياد وعبيد
٧- ذخائر الظلام　٨- عيد القيامة(طبعة ثانية)
٩- اللذة الحقيقية(طبعة ثانية) ١٠- الشهوة (طبعة رابعة)
١١- عادات شعبية
أكل البيض والبصل والفسيخ فى شم النسيم
١٢- العاطفة(طبعة ثانية)١٣- الإنسان المجروح
١٤- هكذا أحببنا　١٥- أزمة حب(طبعة ثانية)
١٦-المدخل إلى الحياة الروحية ١٧- متألمون ولكن..
١٨- الشهوة والحب　١٩ - يمكنك أن تقمع الشهوة
٢٠- سلطان وسحر الشهوة ٢١- جذور الشهوة
٢٢- رحلة الآلام(طبعة ثانية)　٢٣- الثعالب الصغيرة
٢٤- مشكلة الشر　٢٥- مظاهر الشهوة فى حياتنا
٢٦- الحب الإلهى　٢٧- ماضي الشهوة
٢٨- اللذة الوهمية (طبعة ثانية)　٢٩- حوار عن الله
٣٠- أين هو الطريق ؟٣١ - عيد الغطاس٣٢- الذات



إن عيد الغطاس له بهجة
خاصة ومكانة عظيمة بين سائر
الأعياد، وفى مصر كان الغطاس
عيداً قومياً، يحتفل به الناس
احتفالاً رسمياً، شعبياً، شا
بلغ حده أن حاكم مصر ك
يشترك فيه، ويأمر بإقا
الزينة وإيقاد النيران وإض
المشاعل وتوزيع المأكولا
وكان الناس يغطسون بع
منتصف الليل فى النيل تب
بهذه المناسبة السعيد